دولة الإمارات العربية المتحدة
دبي

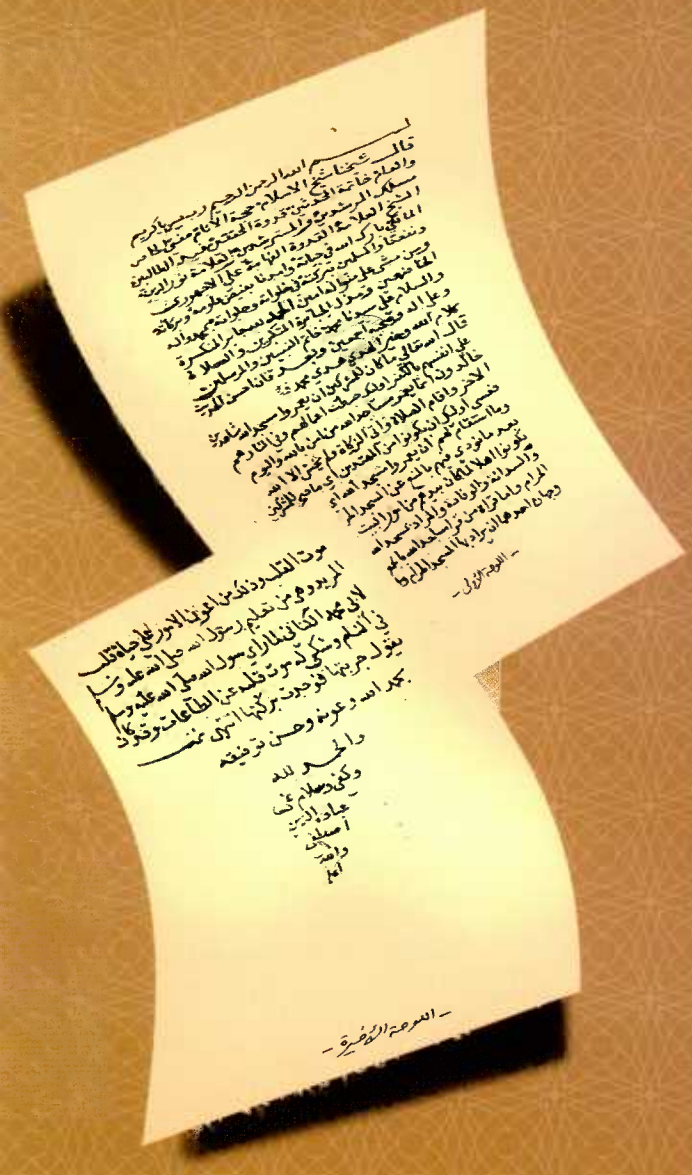

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

إسلامية فكرية محكّمة

العدد السابع و العشرون
ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ - يونيو ٢٠٠٤م

مَجلَّــة
كُلِّيَّةِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ والعربيَّةِ

إسلاميَّة، فكريَّة، محكَّمة
نصف سنويَّة

العدد السابع والعشرون
ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ - يونيو ٢٠٠٤م

رئيس التَّحرير

أ. د. محمــد خليفــة الدنّــاع

سكرتير التَّحرير

د. مصطفى عدنـان العيـثاوي

هيئة التَّحرير

أ. د. رضوان مختار بن غربية
د. محمد الحــافظ النقــــر
د. عــمر بــو قــــرورة

ردمد: ١٦٠٧-٢٠٩X

تفهرس المجلة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٥٧٠١٦

المحتويـــــــات

● **الافتتاحية**

رئيس التَّحرير ١٣-١٤

● **موقف الفرّاء من القراءات المتواترة في كتابه معاني القرآن**

الدكتور: محسن هاشم درويش ١٧-٤٤

● **جهد الشاطبي (٧٩٠هـ) في التفسير الموضوعي الكشفي**

الدكتور: أحمد عثمان رحماني ٤٥-٧٤

● **حديث قبض العلم ونهاية الوجود المعرفي للإنسان**

الدكتور: صالح أحمد رضا ٧٥-١٣٤

● **حكم مصافحة المرأة دراسة حديثية فقهية**

الدكتور: محمد عبد الرزاق الرعود والدكتور: سعدي حسين جبر ١٣٥-١٧٦

● **الصفات الإدارية الضرورية للداعية في ضوء الكتاب والسنة**

الدكتور: محمد بن عبدالله حياني رضا ١٧٧-٢٢٦

● **الضرائب وحكم توظيفها في الفقه الإسلامي**

الدكتور: عيسى صالح أحمد العمري ٢٢٧-٢٨٦

● **إشكالية القطع في الشريعة الإسلاميَة**

الدكتور: سامي صلاحات ٢٨٧-٣٢٦

● **التراث اللغوي العربي الإسلامي قراءة في المنهج**

الدكتور: محمد لهلال ٣٢٧-٣٨٢

● **قراءة في الصياغة المعجمية لكتاب الماء**

لأبي محمد، محمد بن عبد الله الصحاري العماني

الدكتور: عيسى بن محمد بن عبد الله السليماني ٣٨٣-٤٠٦

• **The Distorted Image of the Arabs as depicted in American Social Studies and Literature Textbooks: A case study based on American Curricula used in the UAE and Other documents**

Dr. Musa Rashid Hatamleh ..... 5 - 50

حديث قبض العلم
ونهاية الوجود المعرفي للإنسان

الدكتور
صالح أحمد رضا*

* أستاذ الحديث المشارك بجامعة الشارقة

ملخص البحث:

جمع هذا البحث كلَّ ما يتعلق بنص حديث ابن عمرو في قبض العلم من حيث إدراك المعنى، وفهم ما فيه من الدروس والعبر، وشرح عباراته شرحا وافيا.

وأما من حيث الرواية، فقد ذكر طرقه التي ورد منها، وبيَّن ما في تلك الروايات المختلفة عند أئمة المحدثين من الفوائد الإسنادية، كما ذكر فوائد مستنبطة من طريقة روايته، ثم ذكر شواهد لهذا الحديث تؤكد ثبوته عن الرسول -ﷺ- ثم بين البحث الأهداف التي رأيت أنها مرادة للحديث وفصل الكلام عنها وهي فَضْلُ الله تعالى في قبض العلم، وطلب العلم، وخلو الزمان من مجتهد، والفتوى: أحكامها وشروطها، وحكم من اجتهد وأخطأ، والقول بالرأي.

والحمد لله في البدء والختام.

المقدمة :

الحمد لله العليم الحكيم الذي كرم الإنسان، وفضَّله على كثير من مخلوقاته والصلاة والسلام على المبعوث بالعلم ونشره والدعوة إليه وبعد.

فإن العلم حياة الأمم، وبه تبني مجدها، وترقى في سلم الرقي والسؤدد، والجهل موت الأمم، وفناؤها، وما تتسابق أمم اليوم إلا بالعلم، والجد فيه، واكتشاف الجديد الذي لم يسبق إليه. والأمة الإسلامية أحرى الأمم بالمجاراة، والمسابقة في ميدان العلوم بشتى أنواعها، وبخاصة العلم الذي يحفظ على الإنسان حياته، ويبعد عنها كل شر، وكل ضر، كما يحفظ عليه آخرته، فيبعد عنها كل سوء، إنه العلم الشرعي، العلم الذي يَبْتَدِئُ مع الإنسان في لحظاته الأولى، ولا ينتهي إلى أن يلقى الإنسان ربه.. هذا العلم الذي يجب أن نهيئ له رجالات الفهم وذوي الألباب ليسايروا به ركب التقدم العلمي المادي، فيعطوا لكل قضية جديدة حكمها ،وحقيقتها.

وهانحن نعيش في زمن كثر فيه التقاط العلماء العاملين من بين صفوف الناس، ونقلهم إلى عالم الآخرة، وهذه الظاهرة الواضحة في هذه الأزمان إنما هي نذير من النذر باختفاء العلم عن الأمة، وظهور الجهل، ثم بعد ذلك عموم الفتنة، وركوب سبل الضلال، والعياذ بالله فهل يسيّر الإنسان إلى نهاية وجوده المعرفي فوق هذه الأرض؟.

الظاهر من سير المدنية الحالية يشير إلى أن الإنسان يسير إلى كمال وجوده المعرفي فوق الأرض، فالتسارع عجيب في التقدم الإنساني في عالم المعرفة التقنية، ولكن المتعمق يجد أن الإنسان يسير إلى نهاية وجوده المعرفي، فهو يتجه بالإنسان لتعطيل إمكاناته، وقدراته الذاتية، ويريد منه أن يكون ساهياً لاهياً متمتعاً بالحياة بكل صور المتع، ويكل أمور الحياة إلى الآلة ومن ثَمَّ سيصبح الإنسان في يوم ما في جهالة جهلاء وتيه و عماء، يخبط خبط عشواء.

قال الله تعالى: ﷺ**إنَّما مثلُ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزلناه من السماءِ فاختلط به نباتُ الأرضِ ممَّا يأكُلُ الناسُ والأنعامُ حتَّى إذا أخذتِ الأرضُ زُخرُفَها وازَّيَّنتْ وظنَّ أهلُها أنهُم قادرونَ عليها أتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تَغْنَ بالأمسِ كذلك نُفصِلُ الآياتِ لقومٍ يَتفكَّرون**﴾[يونس:٢٤].

وسأقوم إن شاء الله تعالى بتناول هذا الموضوع من خلال ما أقدمه من دراسة مفصلة لحديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم- عن قبض العلم بقبض العلماء الأئمة، وذلك لننهض بجد واجتهاد للاستفادة ممن بقي من علماء الأمة، فنقتبس من أنوارهم، ونهتدي بعلومهم . والله الموفق.

وقد ذكرت أولا متن الحديث، مع ذكر من خرَّجه،ثم ذكرت ترجمة للصحابي الراوي، ثم فصَّلت الكلام في مفردات الحديث، من حيث اللغة العربية، ثم بينت المعنى العام للحديث، وبعد ذلك انتقلت إلى فوائد الحديث، ضمن نقاط محددة لأنتقل إلى رواية الحديث حيث ذكرت دروساً مستنبطة من رواية الحديث لأضع بعد ذلك بين يدي القارئ خريطة للأسانيد، وما يستفاد منها، وفي الختام ذكرت شواهد للحديث عن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم رأيت أن أفصِّل القول في نقاط ست رأيت أنَّ الحديث ورد من أجل التأكيد عليها أسميتها أهداف الحديث وهي:

١. فضل الله تعالى في قبض العلم.

٢. طلب العلم.

٣. خلو الزمان من مجتهد.

٤. الفتوى: أحكامها وشروطها.

٥. حكم من اجتهد فأخطأ.

٦. القول بالرأي.

راجياً من الله تعالى أن يتقبل عملي، ويجعله مرضياً عنده، نافعاً للناس ليستفيدوا من أهل العلم، والحمد الله في البدء والختام.

نص الحديث:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول:

«إنَّ اللهَ لا يقْبضُ العِلْمَ انتزاعاً من العَباد، ولكْن يَقْبضُ العِلْمَ بقَبْض العُلماء، حتَّى إذا لم يُبقِ عالماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغيرِ علمٍ، فَضَلُّوا، وأضَلُّوا»[1]

---

(١) تخريج الحديث:

رواه البخاري في العلم باب كيف يقبض العلم (١٠٠) ١/٢٣٤/ واللفظ له.

وفي الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يذكر من ذم الرأي والقياس (٧٣٠٧) ١٣/٢٩٥-٢٩٦/.

ولفظه «إن الله لا يَنْزع العلم بعد إذ أعطاكموه انتزاعا، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون، فيفتون برأيهم، فيَضِلُّون ويُضِلُّون» وفيه قصة عروة مع عائشة كما سيأتي بيانها.

ورواه مسلم في العلم (٢٦٧٣) ٤/٢٠٥٨-٢٠٥٩/ بلفظ قريب وفي رواية ثانية «إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعا، ولكن يقبض العلماء، فيرفع العلم معهم، ويبقى في الناس رؤوسٌ جُهَّالٌ يفتونهم بغير علم

والترمذي في العلم باب ما جاء في ذهاب العلم (٢٦٥٢) وقال: حسن صحيح ٥/٣١/ بلفظ قريب جداً.

وابن ماجه في المقدمة باب اجتناب الرأي والقياس (٥٢) ١/٣٩-٤٠/و(٥٦) ١/٤٠/.

والدارمي في المقدمة باب في ذهاب العلم (٢٤٣) ١/٨٢/ وفيه «ولكن قبض العلم قبض العلماء»

وأحمد في المسند (٦٨٩٣) ٢/٢٠٣/وفيه «إن الله لا يَنْزع العلم من الناس بعد أن يعطيهم إياه، ولكن يذهب بالعلماء، كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم و٢/١٦٢و١٩٠/.

والطيالسي في المسند (٢٢٩٢)/٣٠٢/ وفيه « إن الله تعالى لا يرفع العلم بقبض يقبضه، ولكن يرفع العلماء بعلمهم

والقضاعي في مسند الشهاب (١١٠٣-١١٠٧) ٢/١٦٢-١٦٤/.

وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/١٨٠-١٨٣/و٢/١٦٢-١٦٣/.

والنسائي في الكبرى في العلم باب رفع العلم وظهور الجهل (٥٩٠٧و٥٩٠٨) ٣/٤٥٦/.

والبزار. البحر الزخار (٢٤٢١-٢٤٢٤) ٦/٤٠٠-٤٠٢/وكشف الأستار (١٦٦) /٩٦/ ومختصر زوائد البزار (١٢٣) ١/١٤٠/

والحميدي في المسند (٥٨١) ١/٢٢٦٤-٢٦٥/.

وعبد الرزاق في المصنف (٢٠٤٧١و٢٠٤٧٧و٢٠٤٨١) ١١/٢٥٤و٢٥٦و٢٥٧/

وابن حبان في الصحيح (٦٧١٩و٤٥٧١) ١٥/١١٤/و١٠٤٣٢/ والبغوي شرح السنة (١٤٧)/٣١٥-٣١٦/.

التعريف بالصحابي راوي الحديث:

(عبد الله بن عمرو بن العاص* - رضي الله عنهما -):

هو عبد الله بن عمرو بن العاص[٢] بن وائل بن هاشم بن سعيْد - بالتصغير - بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي السهمي الصحابي ابن الصحابي.

كنيته: أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو نصير.

أمه: رائطة - أو ريطة - بنت منَبَّة بن الحجاج بن عامر بن حذيفة السهمية، قال فيهم رسول الله ﷺ: نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله، وأم عبد الله[٣].

وقيل: كان اسمه في الجاهلية العاص، فلما أسلم سمي «عبد الله».

ولم يكن بينه وبين أبيه في السن إلا أحد عشر عاماً، وقيل اثنا عشر عاماً -أخرجه البخاري[٤] عن الشعبي - وجزم ابن يونس بأن بينهما عشرين سنة.

أسلم قبل أبيه، وهاجر هو وأبوه قبل فتح مكة، وكان النبي- ﷺ - يفضله على أبيه.

وقد كان في أيام النبي- ﷺ - صواماً قواماً، تالياً لكتاب الله تعالى، طَلاَّبةً للعلم، فكان

---

* ترجمته تجدها في طبقات ابن سعد ٢/٣٧٣/و٤/٢٦١-٢٦٨/و٧/٤٤٩٤/حلية الأولياء ١/٢٨٣/ الاستيعاب ٢/٣٤٦-٣٤٩/ أسد الغابة ٣/٣٣٤٩-٣٥١/تذكرة الحفاظ ١/٤١-٤٢/ سير أعلام النبلاء ٣/٧٩-٩٤/. الإصابة ٢/٣٥١/ والعقد الثمين ٥/٢٢٣/العبر ١/٥٣/ تهذيب التهذيب ٥/٣٣٧-٣٣٨/ تهذيب الكمال للمزي ١٥/٣٥٧-٣٦٢/. وغيرها من الكتب ذكرها د. بشار عواد معروف في هامش تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١٥/٣٥٧-٣٥٨/، وفي هامش سير أعلام النبلاء ٣/٧٩/.

(٢) قال النووي: أكثر ما يأتي في كتب الحديث والفقه بحذف الياء -وهي لغة-والصحيح الفصيح «العاصي» بإثبات الياء...

وقال الهروي في المرقاة: الأصح عدم ثبوت الياء إما تخفيفا، أو بناء على أنه أجوف، و يدل عليه ما في القاموس: الأعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس « العاص وأبو العاص، وأبو العيص « فعليه لا يجوز كتابة العاص بالياء، ولا القراءة بها لا وقفاً ولا وصلاً فإنه معتل العين بخلاف ما يتوهمه بعض الناس أنه اسم فاعل معتل اللام من عصى فحينئذ يجوز إثبات الياء، وحذفها وقفا، ووصلاً بناء على أنه معتل اللام.أهـ

(٣) عند أحمد في المسند ١/١٦١/و أبي يعلى الموصلي في المسند (٦٦٤-٤٤٥-٦٤٧)٢/١٨-١٩/وقال الهيثمي: ورجاله ثقات.مجمع الزوائد ٩/٣٥٤/

(٤) التاريخ الكبير ٥/٥/.

يصوم الدهر، ويقوم الليل حتى قال: زوجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت علي جعلت لا أنحاش[٥] لها مما بي من القوة على العبادة من الصوم، والصلاة، فجاء عمرو بن العاص -رضي الله عنه- إلى كِنَّته حتى دخل عليها، فقال لها: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرجال، أو كخير البعولة من رجل لم يفتش لنا كنفاً، ولم يعرف لنا فراشاً. فجاء علَيَّ فعذمني (العذم: اللوم، والأخذ باللسان) وعضني بلسانه، فقال أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعضلتها، وفعلت، وفعلت!

ثم انطلق إلى النبي - ﷺ - فشكاني، فأرسل إلي النبي- ﷺ -، فأتيته، فقال لي: أتصوم النهار؟ قلت: نعم. قال: تقوم الليل؟ قلت: نعم.

قال: لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمس النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني.

قال: اقرأ القرآن في كل شهر. قلت: إني أجدني أقوى من ذلك.

قال: فاقرأه في كل عشرة أيام. قلت: أجدني أقوى من ذلك.

قال: فاقرأه في كل ثلاثة أيام.

قال: ثم قال: صم في كل شهر ثلاثة أيام. قلت: إني أقوى من ذلك. قال: فلم يزل يرفعني حتى قال: صم يوما وأفطر يوما، فإنه أفضل الصيام، وإنه صيام أخي داود - ﷺ -.

ثم قال - ﷺ -: «فإنه لكل عابد شِرَة، ولكل شِرةٍ فترة، فإما إلى سنة، وإما إلى بدعة، فمن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك، فقد هلك»[٦]

قال مجاهد: فكان عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- حيث ضعف، وكبر يصوم الأيام كذلك يصل بعضها إلى بعض ليتقوى بذلك، ثم يفطر بعد تلك الأيام.

---

(٥) أي لا أكترث ولا أبالي. النهاية في غريب الحديث١/٤٦٠/

(٦) رواه الإمام أحمد بطوله ٢/١٥٨/ ومختصرا ٢/١٦٠ و١٦٤ و١٨٧-١٨٨ و١٨٨ و١٨٩ و١٩٤ و١٩٥ و١٩٨ و١٩٩ و٢٠١ و٢٠٥ و٢٠٦ و٢٠٩ و٢١٦ و٢٢٤ و٢٢٥/، وهذا الحديث رواه الأئمة مطولاً ومختصرا، فهو عند البخاري (١١٣١ و١١٥٢ و١١٥٣ و١٩٧٤-١٩٧٨ و١٩٨٠ و٣٤١٨-٣٤٢٠ و٢٠٥٢-٥٠٥٤ و٥١٩٩ و٦١٣٤ و٦٢٧٧) وعند مسلم (١١٥٩)٢/٨١٢-٨١٨/ وأبي داود (٢٤٤٨) والترمذي (٧٦٧) والنسائي (٢٣٤٣ و٢٣٨٧-٢٤٠٢) وابن ماجة (١٧١٢)وهو مروي عن البيهقي في السنن الكبرى، والطحاوي في معاني الآثار، وابن حبان وابن خزيمة، والطيالسي، وعبد الرزاق والدارمي وأبي عوانة.

قال: وكان يقرأ في كل يوم حزبه كذلك يزيد أحياناً، وينقص أحياناً غير أنه يوفي العدد، إما في سبع أو في ثلاث.

قال: ثم كان يقول بعد ذلك لأن أكون قبلت رخصة رسول الله -ﷺ- أحب إلي مما عدل به، أو عدل، لكني فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره[٧].

صفته:

قال الطبري: كان طوالاً أحمر، عظيم الساقين، أبيض الرأس واللحية، وعميَ في آخر عمره.

قال قتادة: كان رجلاً سميناً.

وعن العريان بن هيثم قال: وفدت مع أبي إلى يزيد، فجاء رجل طوال، أحمر، عظيم البطن، فجلس.

فقلت: من هذا؟ قيل: عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -[٨].

وعن سليمان بن الربيع قال: انطلقت في رهط من نساك أهل البصرة إلى مكة، فقلنا: لو نظرنا رجلا من أصحاب الرسول - ﷺ - فدللنا على عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - فأتينا منزله، فإذا قريب من ثلاثمائة راحلة، فقلنا: على كل هؤلاء حج عبد الله بن عمرو؟ قالوا: نعم، هو ومواليه، وأحباؤه.

قال فانطلقنا إلى البيت، فإذا نحن برجل أبيض الرأس، واللحية بين بردين قطْريين عليه عمامة، وليس عليه قميص.[٩]

وعن سلمان بن ربيعة الغنوي أنه حج زمن معاوية - رضي الله عنه - في عصابة من القراء، فحدثنا أنَّ عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أسفل مكة، فعمدنا إليه، فإذا نحن بثقل عظيم يرتحلون ثلاثمائة راحلة، فيها مائة راحلة، ومائتا زاملة - وكنا نحدث أنه أشد الناس تواضعاً - فقلنا: ما هذا؟ قالوا: لإخوانه يحملهم عليها، ولمن ينزل عليه، فعجبنا، فقالوا:

(٧) انظر مسند أحمد ٢/١٥٨.

(٨) ابن عساكر /٢١٩/وابن سعد ٤/٢٦٥-٢٦٦/و٧/٤٩٥/وفيه فقال: أبي بدل قلت.

(٩) ابن سعد ٤/٢٦٧/وسير الأعلام ٣/٩٣.

إنه رجل غني ودلونا عليه أنه في المسجد، فأتيناه، فإذا هو رجل قصير أرمص بين بردين وعمامة، قد علّق نعليه في شماله[١٠].

وعن عبيد بن سعيد أنه دخل مع عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- المسجد الحرام، والكعبة محترقة حين أدبر جيش حصين بن نمير، والكعبة تتناثر حجارتها، فوقف وبكى حتى إني أنظر إلى دموعه تسيل على وجنتيه، فقال:

أيها الناس، والله لو أن أبا هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أخبركم أنكم قاتلو ابن نبيكم ومحرقو بيت ربكم، لقلتم: ما أحد أكذب من أبي هريرة، فقد فعلتم، فانتظروا نقمة الله عليكم، فليلبسنكم شيعاً، ويذيق بعضكم بأس بعض[١١].

قال الذهبي: وقد ورث عبد الله عن أبيه قناطير مقنطرة من الذهب المصري فكان من ملوك الصحابة [١٢].

- وعن يعلى بن عطاء عن أبيه قال: كنت أصنع الكحل لعبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -، وكان يطفئ السراج في الليل ثم يبكي حتى رسعت عيناه[١٣].

وكان عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- خَيِّراً مقبلاً على شأنه، ويلوم أباه على القيام في الفتنة، ويتأثم من القعود عن والده، وعدم مشاركته خوف العقوق، ولأن النبي -ﷺ- قال له: «أطع أباك» فحضر صفين، ولم يسلّ بها سيفاً.

- وكان والده قد خلف له أموالاً عظيمة، وكان له عبيد، وخدم، وله بستان بالطائف يسمى «الوهط» قيمته ألف ألف درهم.

- حضر فتوح الشام، وكان معه الراية يوم اليرموك.

---

(١٠) سير الأعلام ٣/٩٣/ وقوله «قصير» لعله لما كبر وشاخ انحنى ظهره فظهر قصيراً، والله أعلم.

(١١) سير الأعلام ٣/٩٤/.

(١٢) السابق ٣/٩٠/.

(١٣) رسعت: تغيرت وفسدت، والتصقت أجفانها. سير الأعلام ٣/٩١/ والحلية ١/٢٩٠/ وابن عساكر /٢٤٣/ والنهاية٣/٢٢١/ ورواها بالصاد ٣/٢٢٧/.

- قال ابن حجر: مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح، بالطائف.[١٤] وقال ابن يونس: إنه مات بمصر ودُفن في داره لم يقدروا أن يخرجوا بجنازته لمكان الحرب بين مروان بن الحكم، وعساكر ابن الزبير، وكان عمره (٧٢) سنة وذلك سنة (٦٥) هـ وقيل غير ذلك.

روايته الحديث:

روى ابن عمرو -رضي الله عنهما- عن النبي -ﷺ- أحاديث كثيرة، ولم يعتبر من المكثرين لعدم وصول روايته إلى «ألف حديث».

وقد روى عن أبي بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وأبيه، ومعاذ بن جبل، وأبي الدرداء، وسراقة بن مالك بن جعشم -رضي الله عنهم- وعن غيرهم.

وروى عنه من الصحابة: ابن عمر، وأبو أُمامة، والمسور، والسائب بن يزيد، وأنس بن مالك، والطفيل -رضي الله عنهم-.

وروى عنه ابنه محمد - على نزاع في ذلك - ، ومولاه أبو قابوس، وحفيده شعيب بن محمد فأكثر عنه، وخدمه، ولزمه، وتربى في حجره لأن أباه محمداً مات في حياة والده عبد الله.

كتب عن النبي - ﷺ - علماً كثيراً، وكان يعترف له أبو هريرة -رضي الله عنه- بكتابته للحديث حيث قال: «ما كان أحد أكثر حديثاً عن رسول الله - ﷺ - مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -، فإنه كان يكتب، ولا أكتب»[١٥].

فكتب الكثير بإذن النبي - ﷺ - وترخيصه له في الكتابة.

وقال عبد الله - رضي الله عنه -: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله - ﷺ - أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله -، ورسول الله بشر

---

(١٤) التقريب /٣١٥/.

(١٥) رواه البخاري في العلم باب كتابة العلم (١١٣) فتح الباري ١/٢٤٩/ والترمذي في العلم باب الرخصة في كتابة العلم (٢٨٠٦) وقال: حسن صحيح ٤/١٤٦/ والدارمي في المقدمة باب من رخّص في كتابة العلم ١/١٢٥/ والإمام أحمد في المسند ٢/٢٤٨/ وابن سعد ٤/٢/٨/

يتكلم في الغضب والرضا؟! قال: فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول -ﷺ- فأومأ بأصابعه إلى فيه، وقال: «اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حقاً»[١٦]

وقال: «كنا عند رسول الله - ﷺ - نكتب ما يقول».[١٧]

وكان عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- يملي الحديث على طلبته:

روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن زياد في الحوض، فقال له أبو سبرة - رجل من صحابة عبيد الله بن زياد - فإن أباك حين انطلق وافداً إلى معاوية - رضي الله عنه - انطلقت معه، فلقيت عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- ، فحدثني من فيه إلى فيَّ حديثاً سمعه من رسول الله - ﷺ -، فأملاه عليَّ وكتبته، قال: فإني أقسمت عليك لما أعرقت هذا البرذون حتى تأتيني بالكتاب، قال: فركبت البرذون، فركضته حتى عرق، فأتيته بالكتاب، فإذا فيه:

حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -، أنه سمع رسول الله -ﷺ- قال:

«إن الله يبغض الفحش، والتفحش، والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يخون الأمين، ويؤتمن الخائن حتى يظهر الفحش والتفحش، وقطيعة الأرحام، وسوء الجوار. والذي نفس محمد بيده إن مثل المؤمن كمثل النحلة أكلت طيبا، ووضعت طيبا، ووقعت فلم تكسر، ولم تفسد، وقال إن لي حوضاً ما بين ناحيته كما بين أيلة إلى مكة، أو قال صنعاء إلى المدينة، وإن فيه من الأباريق مثل الكواكب، هو أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً».

---

(١٦) رواه الدارمي في المقدمة باب من رخص في كتابة العلم ١/١٢٥/ ونحوه/١٢٦/ وأحمد في المسند ٢ /١٩٢ و٢٠٧ و٢١٥ و٤٠٣/ والحاكم في المستدرك، وقال: «صحيح» ثم قال «هذا أصل في نسخ الحديث عن رسول الله ﷺ ولم يخرجاه» ثم أخرجه بلفظ ((قالت لي = قريش: تكتب، ، وبلفظ «كنت أكتب»)) وقال على شرط مسلم ١/١٠٤-١٠٥/ وأخرجه أبو داود في العلم باب كتابة العلم (٤٦) ٤/٦٠/ والخطيب البغدادي في تقييد العلم بطرق كثيرة /٧٤-٨٣/ وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١١/٧١/ والرامهرمزي في المحدث الفاصل (٣١٦) وأبو زرعة في تاريخ دمشق (١٥١٦) وابن عساكر /٢٣١-٢٣٢/ ورجاله ثقات، والقاضي عياض في الإلماع /١٤٦/والحديث حسن.

(١٧) رجاله ثقات، أخرجه أبو زرعة في تاريخ دمشق (١٥١٤) وابن عساكر /٢٣٠/ وسير أعلام النبلاء ٣/ ٨٧/

قال أبو سبرة: فأخذ عبيد الله بن زياد الكتاب، فجزعت عليه، فلقيني يحيى بن يعمر، فشكوت ذلك إليه، فقال: لأنا أحفظ له مني لسورة من القرآن، فحدثني به كما في الكتاب سواء»[١٨]

وإنما قلت الرواية عن ابن عمرو - رضي الله عنهما - مع كثرة ما حمل من الحديث لأسباب ذكرها ابن حجر - رحمه الله تعالى -:

١. لأنه سكن مصر، وكان الواردون إليها لأخذ العلم قليلين.

٢. كان مشتغلاً بالعبادة، ملازماً لها غير متفرغ للحديث.

٣. مطالعته في كتب أهل الكتاب حيث كان أصاب جملة من كتبهم في الشام، فأدمن النظر فيها، ورأى فيها عجائب مما جعل بعض التابعين يتخوفون الأخذ عنه خشية أن يحدثهم بما فيها، فيظنه بعض السامعين مرفوعاً.[١٩]

مفردات الحديث:

* **يقبض**: القبض: تناول الشيء بجميع الكف، وقبض اليد عن الشيء جمعها قبل تناوله، وقبض الشيء، وقبض عليه: أخذه بقبضة يده، وجمعها بعد التناول. ويستعار القبض لتحصيل الشيء، وإن لم يكن فيها مراعاة الكف، ومنها القبض في الحديث أي الأخذ الجاد الحازم، والمقصود «إن الله لا يجمع العلم، ويحوزه من صدور العلماء».

* **العلم**: إدراك الشيء بحقيقته، وإحاطة الذهن بالمعلوم، والألف واللام يحتمل أن تكون للجنس، ويحتمل أن تكون للعهد، والظاهر أنها للعهد للقرينة التي جاءت بعدها في الحديث، وهي قوله: «فضلوا، وأضلوا» لأن العلوم الشرعية هي التي بها الهداية، ولا يقال لغيرها من العلوم هداية مطلقا، والمراد بالعلم إذاً هنا: الفهم في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله - ﷺ - وشريعته.

* **انتزاعا**: نزع الشيء جذبه من مقره بقوة، واقتلاعه من أساسه، واستلابه من الصدور

(١٨) مسند أحمد ٢ /١٩٨/وإسناده حسن.

(١٩) انظر فتح الباري ١/ ٢٥٠/.

حتى لا يبقى منه شيء فيها، وجاء بقوله: «انتزاعاً» ولم يقل:«نزعاً» وزيادة المبنى تؤذن بزيادة المعنى.

* **رؤوساً**: وروي رؤساء، وهي: جمع رئيس، والأول جمع رأس، والرأس من كل شيء أعلاه، ويطلق على سيد القوم، والمقصود: اتخذ الناس جهلاء، فوضعوهم موضع العلماء الذين يرأسون الناس بعلمهم، ويقودونهم في فتاواهم.

* **جهالاً**: جمع جاهل، وهو في الأصل الذي لا يعلم الشيء، ولا يعرف حقوقه، ولا حدوده، قد خلا من العلم، وفرغ من المعرفة، ولم يبذل أي جهد في طلب العلم من مظانه، وتصور من الذي لا يعلم الشيء أن يتصرف تصرفاً لا حلم فيه، ولا معه، فقيل للسفيه جاهل، وكذا للجاني، وكذا الذي لا يحلم عن تصرفات الناس، ويضيع الحق.

* **فأفتوا**: الفتيا، والفتوى: الجواب عما يشكل من أحكام، يقال: استفتيته فأفتاني بكذا، أي أجابني عن سؤالي، وخُصَّ المفتي بالعالم الذي ينصب لإجابة الناس عن أسئلتهم الشرعية، وعليه أن لا يسرع في الفتيا حتى يدرك السؤال، ويحيط بجوانبه، وما اكتنفه.

* **فضلوا**: الضلال هو العدول عن الطريق المستقيم، عمدا، أو سهوا، يسيراً أو كثيرا، والمقصود أنهم ضلوا في أنفسهم حين أفتوا بغير علم، وأبعدوها عن هداية الله تعالى بجوابهم الذي أبدوه على غير ما هو عليه، وانحرفوا عن دين الله القويم.

* **وأضلوا**: الإضلال ضربان:

أحدهما: أن يكون سببه الضلال، بأن يضل الشيء عنك، فلا تستطيع أن تحوزه، ولا تعرف عنه شيئاً.

ثانيا: أن يكون الإضلال سبباً للضلال، وهو أن يريد للإنسان الباطل ليضل، كما يفعل شياطين الإنس والجن، فيوحون لأوليائهم بالضلال عن علم ومعرفة، ليحرفوهم عن الطريق المستقيم.

والمراد في الحديث الأول، لأنهم جهلوا حكم ما سئلوا عنه، فضلوا عنه، وأفتوا غيرهم

بغير علم فأضلوهم عن الصراط المستقيم، أي تسببوا في انحراف غيرهم عن طريق الهدى، فأبعدوهم عن سلوك الطريق القويم[٢٠].

المعنى الإجمالي:

يبين رسول الله - ﷺ - في هذا الحديث الكريم أنَّ الله - جلت قدرته - سيقبض العلم ويزيله من صدور أهله من الناس، وذلك في آخر الزمان، ولكن رسول الله - ﷺ - يبشر الأمة الإسلامية بأن الله لا يفعل ذلك باقتلاعه من صدور أهل العلم، وسلبهم إيَّاه، بعد أن أعطاهم العلم، والمعرفة وعاشوا بهما، وأحيوا الناس بما بثوه بينهم من علوم الشريعة التي تنقذهم من الضلال، وتهديهم إلى سبيل الرشاد، وتبيّن لهم الحق الذي يجب عليهم أن يتبعوه في كل شأن من شؤون الحياة التي يعيشها الإنسان فوق هذه الأرض، وتأخذ بأيديهم للنجاة من عذاب الله تعالى يوم القيامة، إن الله تعالى لن يسلب العلماء علمهم بحيث يصبح العالم جاهلا، وتغدو الأمة تخبط في عماء، لا تدري أين تتجه، ولا أين تصير، فيكون الأمر في ذلك شديداً على الأمة كلها، وعلى العلماء أنفسهم.

ولكن سنة الله تعالى الحكيم في جمع العلم ورفعه من الدنيا أن ينقصه شيئاً فشيئاً بحيث لا تشعر الأمة به وذلك بأن لا يأتي عالم إلا والذي قبله أكثر منه علماً وأعظم منه إحاطة بأصول الشريعة وفروعها، وبهذا تبقى تؤمل بالعلماء خيراً وتنظر إليهم على أنهم يحملون شرع الله تعالى مهما قل حملهم منه، فما لم يصلوا إلى درجة الجهل، فما تزال الأمة بخير، وما دام العلماء يلزمون كتاب الله - عز وجل - وسنَّة نبيه - ﷺ - ولا يصدرون في فتواهم عن هوى في النفس، وإنما على أساس صحيح، ورأي قويم فهم على خير، والأمة التي تتبعهم، وتأخذ بآرائهم، وتسير وفق فتاواهم بخير واستقامة وسداد.

حتى إذا قبض الله تعالى العلماء وتوفَّاهم من هذه الدنيا مع ما معهم من العلم دون أن يحصلوا أثناء حياتهم طلبة للعلم يحملونه عنهم، ويعملون به، ويبلغونه إلى من بعدهم من الناس ليفشو، وينتشر فيبعدون بذلك شبح الجهل من حياة الأمة، فيفقد العلم الشرعي

(٢٠) ينظر في معاني هذه الكلمات:

مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني - والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري - والفائق في غريب الحديث للزمخشري.

بفقد هؤلاء العلماء، ولا ينتشر علمهم بين الناس، فإذا فني أهل العلم الشرعي الصحيح، ووقف الناس من بعدهم حيارى لا يدرون طريق الحق، ولا يهتدون إليه التمس الناس من يرأسهم بالعلم، فلم يجدوا إلا الأدعياء الجهلاء، الذين يشترون الدنيا بدينهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، الذين لم يشيدوا بنيانهم العلمي على أساس من الفقه في الدين، ومعرفة لأحكام الشريعة، فرأَّسوهم عليهم، وجعلوهم قادة لهم، وسادة عليهم، وفزعوا إليهم في الملمات، واستفتوهم في المشكلات، فصدروا عن غير معين، وشربوا من غير سلسبيل، أعطوهم أحكاماً مغلوطة، لا تستند إلى أصل شرعي، ولا ترجع بهم إلى حكم صحيح، ورأي رجيح، بل كان علمهم خبطا، وخلطا، فكانوا بذلك منحرفين عن شرع الله تعالى في أنفسهم مبتعدين عن الصراط القويم الذي بيَّنه الله تعالى في كتابه العزيز، وأوضحه المصطفى - ﷺ - في سنته القويمة، وتتابع على بيانه، وإظهار ما فيه من الأحكام العلماء العاملون عبر السنين والأعصار، وبهذه الفتاوى الضالة يكون هؤلاء المفتون قد ابتعدوا عن هدي الشريعة الغراء المبنية على العلم، ويكونون قد أضلوا غيرهم ممن أخذ بقولهم، واتبع آراءهم عن سلوك الطريق المستقيم يأخذون الأمة إلى متاهات الضلالة، ويفسدون في الأرض، ولا يصلحون، فهم في أمكنتهم العالية الرفيعة التي وصلوا إليها، وجعلوها مغنماً للدنيا، قد ضلوا بأجوبتهم التي لا سند لها من شرع صحيح، وعقل صريح، ورأي رجيح، فلم يكتفوا بضلالهم في أنفسهم لجهلهم بشريعة الله سبحانه، بل زادوا على ذلك إضلال الناس، وأخذهم على غير هدى.

عند ذلك ستكون الدنيا بدون مصابيح هدى، فتكون في جاهلية جهلاء، وتيه، وعماء، إنها نهاية الأمة، وخراب الدنيا أن تفقد علماءها، ويزوي العلم فيها حتى لا يرى فيها عالم متثبت، ولا طالب متحقق.

وبهذا يحث الحديث على العلم والتعلم، مما يدفع المسلم أن يكون حريصاً على العلماء متتبعاً لهم ليأخذ عنهم قبل أن تخترم المنية آجالهم، وهو يحس أن وفاة العالم ثلمة كبيرة في الأمة الإسلامية لا يمكن أن تسد، ولا يستطيع أحد أن يخلفه في علمه، وفهمه، وفقهه.

فرسول الله - ﷺ - يلفت أنظار المسلمين إلى انتهاز فرصة وجود العلماء بين

ظهرانيهم ليقتبسوا من أنوارهم، ويهتدوا بإرشادهم ويأخذوا من علومهم، ويستفيدوا من خبرتهم، فإن العالم في الأمة بمثابة الروح الناهض، والفكر الوثاب، والمحرك الدؤوب، يثير الفكرة، ويحرك الهمة، ويدفع إلى العمل، ويمنع من الخطل، حتى إذا فُقِدَ العالمُ من الأمة ترك شرخاً لا يلتئم، ولا يستطيع غيره أن يغطيه، ويرأب الصدع الذي أحدثه بموته في المجتمع.

وإذا كان الأمر كذلك، فما على الناس إلا أن يحيطوا علماءهم بالاحترام والتبجيل، ويكتنفوهم من كل جانب بالحرص على التحصيل، حتى يأخذوا ما عندهم من العلوم والفهوم والاستنباطات والاستنتاجات.

نسأل الله تعالى أن يمتعنا بعلماء الأمة الموجودين في هذا العصر وأن يجعلنا جميعاً من أهل العلم الذين يعملون بما عملوا، ويبلغون العلم الذي يحملونه إلى الناس كلهم، ويحثونهم على الخير والعمل به، وأن يجعلنا من المحبين للعلماء والمستفيدين منهم.[٢١]

والله ولي التوفيق.

(٢١) ينظر شرح الحديث: فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/٢٣٤-٢٣٦/و١٣/٢٩٥-٢٩٧/ وعمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢/١٣٠-١٣٢/و٢٥/٤٤/وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١/٣٤٥-٣٤٦/و١٥/٣٠٨-٣٠٩/ وشرح الكرماني ١/٩٧-٩٨/و٢٥/٥٣-٥٤/ والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٨/١٩٢-١٩٤/ وعارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي ٥/٣٢٤/ وتحفة الأحوذي ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١/٢٢٤-٢٢٥/ وشرح السنة ١/٣١٦-٣١٨/ وفيض القدير شرح الجامع الصغير ٢/٢٧٣-٢٧٤/ ودليل الفالحين شرح رياض الصالحين ٤/١٩١/ وبهجة النفوس وتحليتها بمعرفة مالها وما عليها لعبد الله بن أبي جمرة الأندلسي (٦٩٥) ١/١٩١-١٩٩/

دروس في رواية هذا الحديث:

هذا الحديث من رواية عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- وسبب سماعه لهذا الحديث أن السيدة عائشة -رضي الله عنها - وهي خالته، قالت له: يا ابن أختي بلغني أن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- مار بنا إلى الحج، فالقه، فسائله، فإنه قد حمل عن النبي - ﷺ - علماً كثيراً.

قال: فلقيته، فسألته عن أشياء يذكرها عن النبي- ﷺ - فكان فيما ذكر أن النبي -ﷺ - قال: إن الله لا يقبض العلم انتزاعا .. فذكر الحديث.

قال: فلما حدثتُ عائشة -رضي الله عنها- بذلك، أعظمت ذلك، وأنكرته،

وقالت: أحدثك أنه سمع النبي - ﷺ - يقول هذا؟!

قال: ثم إنه حج من السنة المقبلة، فقالت عائشة -رضي الله عنها- لابن أختها: إن ابن عمرو -رضي الله عنهما- قد قدم، فالقه، ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم.

قال: ثم لقيت عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-في الطواف، فسألته، فأخبرني به، فلما أخبرتها بذلك، قالت: ما أحسبه إلا صدق، أراه لم يزد فيه شيئا، ولم ينقص»[٢٢]

ويلاحظ في هذا السياق أمور توجه بها السيدة عائشة -رضي الله عنها- ابن أختها طالب العلم الشَّادِي لتكون نصب عينيه في الطلب، ومن ذلك:

- أنها توجهه للقاء أهل العلم، ومفاتحتهم بالعلم، وكأنها تقول له: ليس كل العلم الذي كان عند رسول الله -ﷺ- هو عندي، وإن عند غيري من أصحاب رسول الله -ﷺ - ما ليس عندي، ولهذا كان عروة يوصف بأنه واسع الاطلاع بما حواه من علم عائشة وغيرها من الصحابة الكرام - -رضي الله عنهم- بينما قل علم عمرة بنت عبد الرحمن بالنسبة لعروة لأنها كانت مختصة بالسيدة عائشة -رضي الله عنها- لم تأخذ عن غيرها.

(٢٢) ذكر ذلك الإمام البخاري في روايته الثانية في كتاب الاعتصام ١٣/٢٩٥-٢٩٦/ ومسلم ٤/٢٠٥٨-٢٠٥٩/

- تتبع السيدة عائشة -رضي الله عنها- لأهل العلم وتحركاتهم فهي في المرتين تخبر عروة بمجيء عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- وهذا يرشدنا إلى أن طالب العلم يجب أن يوسع أفقه العلمي حتى يعلم ما يجد حوله في قضايا العلم وإصدارات أهل العلم، وهكذا يجب أن يكون طالب العلم لا ينكر شيئاً لأنه لا يعلمه حتى يتأكد عنده خطؤه.

- إنكار السيدة عائشة لهذا الحديث، الظاهر أنها لم تسمع به من رسول الله -ﷺ- ولكنها لم تعلن هذا الإنكار وتشهره بين الناس وتقول إن ابن عمرو -رضي الله عنهما- قد أخطأ فيه، وإنما أرادت أن تتثبت من هذه الرواية، ومن هذا الخبر الذي حدث به.

- صبر طلبة العلم على الرواية، فانظر إلى السيدة عائشة -رضي الله عنها- تصبر سنة كاملة على سماعها للحديث، ثم ترسل ابن أختها بعد السنة ليتأكد لديها سماعه للحديث من رسول الله - ﷺ - ولا شك أن هذه صفة عظيمة يجب أن يتحلى بها طالب العلم، وهي الصبر على الطلب والصبر في تحصيل المسألة والإحاطة بجميع ما يتعلق بها، ثم بعد ذلك إقرارها أو إنكارها.

- أدب طالب العلم والرفق فيه، فالسيدة عائشة -رضي الله عنها- تعلِّم ابن أختها كيف يجب أن يحصل على العلم، فلم تقل له: اذهب واسأله عن هذا الحديث، وإنما قالت: فالقه، ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك.. وهكذا يجب أن لا يهجم طالب العلم على المسألة التي يريد هجوما، وإنما يتأنَّى ويترفق حتى يصل إلى ما يريد.

- الحج فرصة للقاء العلماء، فرغم أن السيدة عائشة -رضي الله عنها- كانت في الحج فلم يمنعها ذلك من طلب العلم، بل دفعت بابن أختها ليواجهه، وهكذا كان طلبة العلم ينتهزون فرصة الحج للقاء أهل العلم من أهل الحجاز، وغيرهم من الوافدين إليه.

- حج السيدة عائشة المتكرر، فالمعروف أنها سمعت حديث رسول الله - ﷺ - «جهادكن الحج» فلم تعد تترك الحج بعد ذلك، فكانت تحج في كل عام.

- استفادة طلبة العلم من أقاربهم من أهل العلم، وعدم زهدهم بما عندهم، فعروة يلازم خالته عائشة - رضي الله عنها - وأخذ عنها كل ما لديها من علم رسول الله - ﷺ -.

فوائد الحديث:

١. أهل العلم هم رؤوس الناس لأنهم الذين يبيِّنون للناس أحكام دينهم.

٢. الحث على حفظ العلم والاشتغال به وحمله عن ذويه، قبل أن تخترمهم المنية.

٣. حال الدنيا يتغير إلى الأسوإ إذ كلما فقد عالم ذهب معه علم كثير لا يخلفه فيه غيره.

٤. لابد للناس من اتخاذ رؤساء يرجعون إليهم في الملمات.

٥. التفاوت بين الناس في القدرات العلمية أمر لا بد منه في هذه الدنيا.

٦. قبض العلم يكون شيئاً بعد شيء، ولا يكون مرة واحدة.

٧. العلماء الحقيقيون هم الذين يفهمون أحكام الله تعالى من كتابه وسنة نبيه -ﷺ-.

٨. الضلال المخيف في الأمة لا يقع ما بقي عالم عامل ناصح للأمة.

٩. الترغيب في الزهد في حطام الدنيا، إذ هي وما فيها للنقص والذهاب.

١٠. بلاء هذه الدار أكثر من خيرها، لأنه إذا قل العلم كثر الجهل.

١١. الرئاسة الحقيقية لا تكون إلا بالعلم الحقيقي.

١٢. العمل بالفتوى الباطلة يلحق إثمها العامل والمفتي.

١٣. لا يعذر الجاهل بجهله عندما يقع في المحذور.

١٤. من أشراط الساعة موت علماء الدين.

١٥. الزجر عن ترئيس الجاهل لما يترتب عليه من المفسدة والإعانة على الضلال.

١٦. حض أهل العلم وطلبته على أخذ بعضهم عن بعض.

١٧. شهادة أهل العلم لبعضهم بالحفظ والفضل.

١٨. حض العالم طالبه على الأخذ عن غيره ليستفيد ما ليس عنده.

١٩. التثبت فيما يحدث المحدث إن قامت قرينة الذهول.

٢٠. مراعاة حال الفاضل من أهل العلم «ألا ترى في قول عائشة – رضي الله عنها – «اذهب إليه ففاتحه حتى تسأله عن الحديث» ولم تقل سله عنه ابتداء، خشية من استيحاشه.

٢١. ذم العمل بالرأي إن لم يستند إلى أصل من كتاب الله تعالى أو سنة المصطفى -ﷺ-.

٢٢. ذم الهجوم على الفتوى في المسائل العارضة دون التأكد من الأدلة التي توضحها.

طرق رواية الحديث:

البخاري ← إسماعيل بن أبي أويس ← مالك ← هشام ← عروة ←
ابن ماجه ← سويد بن سعيد ← علي بن مسهر ←
← جعفر بن ميسرة ←
← شعيب بن إسحاق
الدارمي ← جعفر بن عون ←
الترمذي ← هارون بن إسحاق ← عبدة ←
← قتيبة بن سعيد ← جرير ←
← أبو الربيع العتكي ← حماد بن زيد (ح) ←
← يحيى بن يحيى ← عباد بن عباد ←
← وأبو معاوية (ح) ←
← أبو بكر بن أبي شيبة ←
← وزهير بن حرب ← وكيع (ح) ←
← أحمد ←
← أبو كريب ← ابن إدريس ←
مسلم ← وأبو أسامة ← عبد الله بن عمرو
← وابن نمير ←
← وعبدة (ح) ←
الحميدي ←
← ابن أبي عمر ← سفيان (ح) ←
← أحمد ←
← محمد بن حاتم ← يحيى بن سعيد (ح) ←
← أبو بكر بن نافع ← عمر بن علي (ح) ←
← عبد بن حميد ← يزيد بن هارون ← شعبة ←
عبد الرزاق ← معمر ←
الطيالسي ← يحيى بن أبي كثير ←
النسائي ← عمرو بن علي ← عبد الوهاب ← أيوب ← يحيى بن سعيد ←
البخاري ← سعيد بن تليد ←
مسلم ← حرملة بن يحيى ← عبد الله بن وهب ← أبو شريح ← أبو الأسود
النسائي ← محمد بن رافع ←
أحمد ← عبد الرزاق ← معمر ← الزهري ←
← قتادة ←
مسلم ← محمد بن المثنى ← عبدالله بن حمران ← عبد الحميد بن جعفر ← عمر بن الحكم ←
ابن ماجه ← سويد بن سعيد ← ابن أبي الرجال ← الأوزاعي ← عبدة بن أبي لبابة ←

ويلاحظ من روايات الأئمة لهذا الحديث:

١. أن الإمام مسلم أكثر ذكرا لروايات الحديث من غيره، فبينما نجد أن البخاري قد روى الحديث من طريقين نرى مسلماً قد رواه من ست عشرة طريقاً.

٢. أشار الإمام البخاري إلى الطريقين اللتين روى بهما الحديث أن الحديث جاء من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله - رضي الله عنهما - وهي الطريق التي ذكر طرفها الإمام مسلم - وأن أبا الأسود «يتيم عروة» شارك هشاماً في رواية الحديث عن عروة، ولم يذكر رواية الزهري للحديث.

٣. نجد الإمام البخاري اختار رواية الإمام مالك للحديث، وترك باقي الرواة الذين رووا الحديث عن هشام، وذلك - والله أعلم - لأن الإمام البخاري ينظر إلى الإمام مالك على أنه النجم، فإذا روى الحديث اكتفى بروايته لإتقانه وضبطه، وشدة تحريه في الرواية.

٤. يلاحظ أن رواية أبي الأسود - وهو محمد بن عبد الرحمن النوفلي المعروف بيتيم عروة - وكذا رواية الزهري لم تشتهرا، وإنما رواهما قلة من الرواة، بينما نرى أن رواية هشام بن عروة عن أبيه قد انتشرت واشتهرت، ورواها عنه كثير من العلماء الأعلام، وذلك - والله أعلم - لشرف هشام وشهرته ومكانته، وهكذا نرى أن لمكانة الراوي والعالم أثراً في رواية الحديث عنه وانتشارها واشتهارها، وكذا يقال عن رواية عمر بن الحكم بن ثوبان التي بقيت غريبة، بينما نجد رواية هشام عن أبيه عروة قد جمع ابن منده الابن (أبو القاسم عبد الرحمن بن الحافظ أبي عبد الله بن منده) في كتاب التذكرة من رووه عن الحافظ هشام وسرد أسماءهم، فزاد على أربعمائة نفس وسبعين نفساً منهم من الكبار: شعبة، ومالك، وسفيان الثوري، والأوزاعي، وابن جريج، ومسعر، وأبو حنيفة، وسعيد بن أبي عروبة، والحمادان، ومعمر، بل أكبر منهم مثل: يحيى بن سعيد الأنصاري، وموسى بن عقبة، والأعمش، ومحمد بن عجلان، وأيوب، وبكير بن عبد الله بن الأشج، وصفوان بن سليم، وأبو معشر، ويحيى بن أبي كثير، وعمارة بن غزية، وهؤلاء العشرة كلهم من صغار التابعين، وهم من أقرانه..[٢٣]

(٢٣) انظر فتح الباري ١٣/٢٩٧/

والحديث لم يكن غريباً عن عروة، فقد رواه عن عروة غير هشام، وهو أبو الأسود: محمد بن عبد الرحمن النوفلي، ورواه أيضاً ولداه يحيى وعثمان، كما رواه أبو سلمة بن عبد الرحمن والزهري، فيكون الحديث مشهوراً عن عروة.

والحديث أيضا ليس غريباً عن عبد الله بن عمرو، فقد شارك عروة بالرواية عنه عمر بن الحكم بن ثوبان وقتادة وعبدة بن أبي لبابة.

٥. نرى أن الإمام البخاري قد نزل[٢٤] في روايته لهذا الحديث حيث كان سنده فيه خماسيا، ثم نزل درجة ثانية في روايته لمتابعة أبي الأسود لهشام في رواية الحديث، فكان سنده فيه سداسيا، وقد صافح[٢٥] الإمام مسلم البخاري في إسناد هذا الحديث حيث رواه خماسياً في أكثر طرقه، ثم نزل درجة في روايته لطريق أبي الأسود أيضاً حيث رواه سداسياً.

٦. يلاحظ أيضا في الرواية أن الإمام مالك روى هذا الحديث، ولكنه خارج الموطأ، فليس في رواية يحيى بن يحيى للموطأ هذا الحديث، وقال الدراقطني: «لم يروه في الموطأ إلا معن بن عيسى ورواه أصحاب مالك، كابن وهب وغيره عن مالك خارج الموطأ» وأفاد ابن عبد البر أن سليمان بن يزيد رواه أيضاً في الموطأ، والله أعلم[٢٦].

هذا وقد جاء معنى الحديث عن بعض الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- مع عبد الله بن عمرو، فلا يكون الحديث غريباً[٢٧] عن ابن عمرو- رضي الله عنهما - بل هو حديث

---

(٢٤) الإسناد العالي: ما قل عدد الرواة فيه، والإسناد النازل ما كثر عدد الرواة فيه. انظر مقدمة ابن الصلاح /١٣٠/ ومحاسن الاصطلاح /٤٣٧-٤٤٠/ وتدريب الراوي ٢/١٦٠-١٦١/

(٢٥) المصافحة: هي أن تتساوى الروايتان في عدد الرجال، فيكون راوي الرواية الأولى كأنه صافح راوي الرواية الثانية فكانا في درجة واحدة من العلو « انظر مقدمة ابن الصلاح /١٣١/ وفتح المغيث ٣/١٨/ ومحاسن الاصطلاح /٤٤٥/ ونزهة النظر /٥٩/ والإرشاد /١٧٦/ والباعث الحثيث ٢/٤٤٧/ وتدريب الراوي ٢/١٦٧/

(٢٦) انظر فتح الباري ١/٢٣٥/

(٢٧) الحديث الغريب: الحديث الذي رواه راو واحد في طبقة من طبقاته. انظر: نزهة النظر /٢٥/ الإرشاد للنووي /١٨٠/ والباعث الحثيث ٢/٤٦٠/ ومقدمة ابن الصلاح /١٣٦/ وتوضيح الأفكار ٢/٢٢٩/ وفتح المغيث ٣/٢٨-٣٣/ ومحاسن الاصطلاح /٤٥٦-٤٥٧/ وتدريب الراوي ٢/١٨٠-١٨١/

مشهور[٢٨] عن رسول الله - ﷺ - إلا أنه مشهور من حيث المعنى لا باللفظ.

ومن ذلك:

أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سمع أبا هريرة - رضي الله عنه - يحدث بحديث «يقبض العلم» -يعني من علامات الساعة- فقال: «إن قبض العلم ليس شيئاً ينزع من صدور الرجال، ولكنه فناء العلماء»[٢٩] قال ابن حجر: «وهذا يحتمل أن يكون عند عمر -رضي الله عنه - مرفوعاً فيكون شاهداً قوياً لحديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-»[٣٠]

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -:

«إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، فإذا ذهب العلماء اتخذ الناس رؤوسا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل»[٣١]

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - قال: «يقبض الله العلماء، ويقبض العلم معهم، فينشأ أحداث ينزو بعضهم على بعض نزو العير على العير، ويكون الشيخ فيهم مستضعفاً»[٣٢]

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله - ﷺ -: «إن الله تبارك وتعالى

(٢٨) الحديث المشهور: الحديث الذي رواه في كل طبقة أكثر من راويين. انظر: نزهة النظر /٢٤/ الإرشاد للنووي /١٧٨/ والباعث الحثيث ٤٥٥/٢/ ومقدمة ابن الصلاح /١٣٤-١٣٥/ وتوضيح الأفكار ٢٢٩/٢/ وفتح المغيث ٣٣/٣-٣٤/ ومحاسن الاصطلاح /٤٥٠-٤٥١/ وتدريب الراوي ١٨١/٢/

(٢٩) عند أحمد في المسند ٤٨١/٢/ بالمعنى المذكور هنا، والبزار قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ٢٠٢/١/

(٣٠) فتح الباري ٣٠٠/١٣/قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح، وهو في الصحيح غير قول عمر. مجمع الزوائد ٢٠٢/١/

(٣١) عند الطبراني في الأوسط، قال الهيثمي: «وفيه العلاء بن سليمان الرقي ضعفه ابن عدي وغيره» مجمع الزوائد ٢٠١/١/ قال ابن حجر: سوالعلاء بن سليمان ضعفه ابن عدي، وأورده من وجه آخر عن أبي هريرة، وسنده ضعيفسفتح الباري ٢٩٩/١٣/ ومن وجه آخر عند الطبراني في الأوسط، قال الهيثمي:سوفيه عبد الله بن صالح وهو ضعيف قد وثق. مجمع الزوائد ٢٠١/١/

(٣٢) عند الطبراني في الأوسط، قال الهيثمي: وفيه حجاج بن رشدين بن سعد عن أبيه، والحجاج ضعفه ابن عدي، ولم يوثقه أحد، وأبوه اختلف في الاحتجاج به، والأكثر على تضعيفه. مجمع الزوائد ٢٠١/١/ قال ابن حجر: وسنده ضعيف. فتح الباري ٢٩٩/١٣/ ومعنى ينزو: إذا وثب ووقع على الشيء، والانتزاء، والتنزي: تسرع الإنسان إلى الشر. النهاية ٤٤/٥/

لا ينزع العلم من الناس انتزاعاً - بعد أن يؤتيهم إياه - ولكن يذهب بالعلماء، فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم، فيَضلوا، ويُضلوا»[٣٣].

وعن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: «ليس عام إلا والذي بعده شر منه لا أقول عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، ولكن ذهاب العلماء، ثم يحدث قوم يقيسون بآرائهم فيهدم الإسلام»[٣٤]

هذا وقد بين لنا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن العلم المقصود هو الفهم والتعمق، وليس المعرفة السطحية التي يشترك فيها عامة الناس، فهذه ليست مرادة، وإنما المقصود هو فقه المعلومات، هو تطبيقها العملي، هو إنارة الطريق حتى يرى الناس سبيلهم واضحاً لا غموض فيه، سلساً لا تعقيد فيه، مستقيماً لا اعوجاج فيه، وهذا لا يتم إلا بالعمق الهادف، وبذل الجهد لفهم كل ما يلقى على طالب العلم، أما وجود الكتب، وكثرتها وتكديسها في المكتبات، حتى قراءتها بدون فهم ولا تدبر فإن ذلك لا يغني شيئا، ولا ينفع في الواقع العملي الذي نراه ونعيشه من حولنا، إذ العالم هو الذي يستطيع أن يعطي لكل واقعةٍ حكما، ويعلل ويقنن ويقنع، وينطلق في أفق هذه الحياة لتكون مصبوغةً بشرع الله تعالى محكومة بقوانينه.

قال ابن حجر: وأظن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - إنما حدث بهذا [الحديث] جواباً عن سؤال من سأله عن الحديث الذي رواه أبو أمامة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -[٣٥] حيث قال: «لما كان في حجة الوداع قام رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو يومئذ مردف الفضل بن العباس -رضي الله عنهما- على جمل آدم فقال: «خذوا من العلم قبل أن يقبض، وقبل أن يرفع»

قال أبو أمامة: وقد كان أنزل الله عز وجل ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تَسْأَلُوا عن أشياء إن تُبْدَ لكم تَسُؤْكُمْ وإن تسألوا عنها حين يُنَزَّلُ القرآنُ تُبْدَ لكم عفا الله عنها والله غفور حَلِيم**﴾ المائدة:(١٠١)

---

(٣٣) قال الهيثمي: « رواه البزار وفيه عبد الله ابن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف، ووثقه عبد الملك بن شعيب بن الليث « مجمع الزوائد ٢٠١/١/ كشف الأستار (٢٣٣) ١٢٣/١-١٢٤/

(٣٤) ونحوه عند الدارمي في المقدمة (١٤٢و١٤٣) والطبراني موقوفاً على ابن مسعود. وقال ابن حجر: «بسند جيد» فتح الباري: ٢٣/١٣/ وقد ذكر طرفه وألفاظه فتح الباري ٢٤/١٣/

(٣٥) فتح الباري ٢٩٨/١٣/

قال: وكنا قد كرهنا كثيراً من مسألته، واتقينا ذلك حين أنزل الله عز وجل ذلك على نبيه - ﷺ -.

قال: فأتينا أعرابيا، فرشوناه بُرْدا، فاعتم به، قال: حتى رأيت حاشيته خارجة على حاجبه الأيمن، قال: ثم قلنا له: سل النبي - ﷺ - فقال له: أي نبي الله، كيف يرفع العلم منا، وبين أظهرنا المصاحف، وقد تعلمنا ما فيها، وعلمناه نساءنا، وذرياتنا، وخَدَمنَاَ؟!.

قال: فرفع النبي - ﷺ - رأسه، وقد علت وجهه حمرة من الغضب فقال: أي ثكلتك أمك، وهذه اليهود، والنصارى بين أظهرهم المصاحف، لم يصبحوا يَتَعَلَّقُونَ بحرف منها مما جاءتهم به أنبياؤهم، ألا وإنَّ ذَهابَ العلم ذهابُ أهله.. ألا وإنَّ ذهابَ العلم ذهابُ أهله.. ألا وإنَّ ذهابَ العلم ذهابُ حملته»[٣٦]

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ:

«يوشك بالعلم أن يرفع» فرددها ثلاثا، فقال زياد بن لبيد:[٣٧] يا نبي الله، بأبي، وأمي وكيف يرفع العلم منا؟!

فأقبل عليه الرسول - ﷺ - فقال: «ثكلتك أمك يا زياد بن لبيد، إن كنت لأعُدُّكَ من فقهاء المدينة، أو ليس هؤلاء اليهود عندهم التوراة والإنجيل، فما أغنى عنهم؟ إن الله ليس يذهب

---

(٣٦) عند أحمد في المسند (٢٢٣٤٤) ٥/٢٦٦/ والترمذي في العلم باب ما جاء في ذهاب العلم (٢٦٥٣) وقال:حسن غريب ٥/٣١-٣٢/ وابن ماجه (طرف منه) وفيه «وقبضه أن يرفع» ثم ذكر أنه قال: «العالم والمتعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر الناس» في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٨) ونقل المحقق عن الزوائد قوله: في إسناده علي بن يزيد والجمهور على تضعيفه ١/٨٣/والدارمي في المقدمة باب في ذهاب العلم (٢٥٤)٢/٣٥٨/ والطبراني في المعجم الكبير (٧٨٦٧) وفيه قصة الأعرابي ٨/٢١٥-٢١٦/ و(٧٨٧٥)٨/٢٢٠/ و(٧٩٠٦)٨/٢٣٢/ قال الهيثمي: وإسناد الطبراني أصح لأن في إسناد أحمد «علي بن يزيد» وهو ضعيف جداً وهو عند الطبراني من طرق في بعضها «الحجاج بن أرطاة» وهو مدلس، صدوق، يكتب حديثه، وليس ممن يتعمد الكذب، والله أعلم. مجمع الزوائد ١/١٩٩-٢٠٠/.

(٣٧) زياد بن لبيد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي أبو عبد الله شهد بدراً وكان عاملاً على حضرموت لما مات النبي -ﷺ- مات سنة (٤١هـ) التقريب /٢٢٠/.

بالعلم رفعاً يرفعه، ولكن يذهب بحملته، أحسبه قال: ولا يذهب عالم من هذه الأمة إلا كان ثغرة في الإسلام لا تسد إلى يوم القيامة»[٣٨]

وعن عوف بن مالك الأشجعي - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - نظر إلى السماء فقال: «هذا أوان يرفع العلم»

فقال رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد: يا رسول الله، وكيف؟! وقد أثبت، ووعته القلوب، فقال رسول الله - ﷺ -:

«إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة، ثم ذكر ضلالة اليهود، والنصارى على ما في أيديهم من كتاب الله»[٣٩]

قال جبير بن نفير: فلقيت شداد بن أوس - رضي الله عنه - فحدثته حديث عوف فقال: صدق عوف، ألا أخبرك بأول ذلك، يرفع الخشوع، فلا ترى خاشعاً»[٤٠]

وعن وحشي بن حرب، أن رسول الله - ﷺ - قال:

«يوشك العلم أن يختلس على الناس حتى لا يقدروا منه على شيء»

فقال زياد بن لبيد: وكيف يختلس منا العلم، وقد قرأنا القرآن، وأقرأناه أبناءنا؟! فقال: ثكلتك أمك يا ابن لبيد، هذه التوراة والإنجيل بأيدي اليهود، والنصارى ما يرفعون بها رأساً»[٤١]

---

(٣٨) عند البزار كشف الأستار (٢٣٥) قال الهيثمي: وفيه سعد بن سنان، وقد ضعفه البخاري، ويحي بن معين، وجماعة إلا أن أبا مسهر قال: حدثنا صدقة بن خالد، قال: حدثني أبو مهدي سعيد بن سنان، مؤذن أهل حمص، وكان ثقة مرضيا «مجمع الزوائد ١/٢٠٠/

(٣٩) عند أحمد في المسند ٦/٢٦-٢٧/ والبزار (٢٣٢) قال الهيثمي: وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، قال عبد الملك بن شعيب: «كان ثقة مأمونا، وضعفه الباقون مجمع الزوائد ١/٢٠٠/ والطبراني في الكبير (٧٥) ١٨/ والبزار البحر الزخار (٢٣٢)١/١٢٣/ وابن حبان في الصحيح (٤٥٧٢) بإسناد صحيح ١٠/٤٣٣/

(٤٠) هذه الزيادة عند أحمد ٦/٢٦-٢٧/ وكذلك عند الطبراني في المعجم الكبير (٧٥)١٨/٤٣-٤٤/ وفي مسند الشاميين (٥٥و٥٦)١/٥٥/ والنسائي في الكبرى ناظر كتاب العلم (٧٣) /١٩١/ ورجاله ثقات ورواه البزار في كشف الأستار (٢٣٢) والحاكم في المستدرك وصححه وأقره الذهبي ١/٩٨-٩٩/

(٤١) عند الطبراني في المعجم الكبير (٣٦٥) ٢٢/١٣٧-١٣٨/ قال الهيثمي: وإسناده حسن، مجمع الزوائد ١/٢٠١/.

وعن صفوان بن عسال - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال:

«حض رسول الله - ﷺ - على طلب العلم قبل ذهابه، فقال رجل: وكيف يذهب، وقد تعلمناه، وعلمناه أبناءنا؟ فغضب..

قال: أو ليس التوراة، والإنجيل في يد أهل الكتاب، فهل أغنى عنهم شيئاً؟»[٤٢].

وعن أبي الدرداء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: كنا عند رسول الله - ﷺ - فشخص ببصره إلى السماء، ثم قال:

«هذا أوَانُ يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء، فقال زياد بن لبيد الأنصاري كيف يختلس منا، وقد قرأنا القرآن؟ فو الله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا. فقال: ثكلتك أمك يا زياد إن كنت لأَعُدُّكَ من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم؟

قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته بالذي قال أبو الدرداء قال: صدق أبو الدرداء إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس الخشوع يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلا خاشعا»[٤٣]

وعن زياد بن لبيد -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال ذكر النبي -ﷺ- شيئاً فقال: ذاك عند أوان ذهاب العلم. قلت: يا رسول الله وكيف ذهاب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟! قال:

---

(٤٢) عند أحمد في المسند ٤/٢٣٩-٢٤٠/ وابن خزيمة (١٩٣و١٩٦) وابن ماجه (٢٢٦) وابن حبان (٧٩) والحميدي (٨٨١) والنسائي ١/٨٣/ وعبد الرزاق (٧٩٣و٧٩٥) عند الطبراني في المعجم الكبير (٧٣٩٨) ٨/٧٠/ وانظر ٨/٥٤-٧٦/ فقد أورده من طرق كثيرة. قال الهيثمي: وفيه مسلمة بن علي الخشني، وهو ضعيف. مجمع الزوائد ١/٢٠١/.

(٤٣) عند الترمذي في العلم باب ما جاء في ذهاب العلم (٢٦٥٣) وقال حسن غريب ٥/٣١-٣٢/ ثم قال: ومعاوية بن صالح ثقة عند أهل الحديث، ولا نعلم أحداً تكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان، وقد روى عن معاوية بن صالح نحو هذا وروى بعضهم هذا الحديث عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك عن النبي -ﷺ- والدارمي في المقدمة باب من قال العلم الخشية وتقوى الله (٣٠٠)٢/٤٤٨/ والحاكم في المستدرك وأقره الذهبي ١/٩٩/.

ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأراك أفقه رجل بالمدينة أوليس اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لايعملون بشيء مما فيها»[٤٤]

فهذا حديث ثابت عن رسول الله -ﷺ- يبين فيه أن وجود الكتب العلمية غير مفيد عند فقد أهل العلم الذين يستطيعون أن يفقهوها، ويخرجوا مكنوناتها، ويوضحوا غوامضها، وينقلوا فوائدها إلى عوام الناس ليستفيدوا مما فيها من العلم، ويتبعوا ما فيها من الحكم.

هذا، وقد بين رسول الله -ﷺ- أن من علامات الساعة الظاهرة الجلية للعيان الفوضى الاجتماعية، والفساد الكبير، والفجور الشديد الذي سيكون في آخر الزمان، وذكر من مظاهر ذلك «رفع العلم» فكأنه يريد أن يوجهنا ويبين لنا أن من أسباب المشكلات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي «الجهل» ومن ذلك: ما جاء عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله -ﷺ- «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد»[٤٥]

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -:

«يقبض العلم، وتظهر الفتن ويكثر الهرج، قيل وما الهرج؟ قال: القتل»[٤٦]

---

(٤٤) عند أحمد في المسند ٤/١٦٠و ٢١٨-٢١٩/ وفي مسند الشاميين (٦٨٢٨) وابن ماجه في الفتن باب ذهاب القرآن والعلم (٤٠٤٨) ٢/١٣٤٤/ ونقل المحقق عن الزوائد قوله: «هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات إلا أنه منقطع، قال البخاري في التاريخ الصغير: لم يسمع سالم بن أبي الجعد من زياد بن لبيد، وتبعه على ذلك الذهبي في الكاشف، وقال: ليس لزياد عند المصنف سوى هذا الحديث، وليس له شيء في بقية الكتب» سنن ابن ماجه ٢/١٣٤٤/ والحاكم في المستدرك ١/١٠٠/ والطبراني في المعجم الكبير (٥٢٩١)٥/٣٠٥/ و(٥٢٩٢ و٥٢٩٣)٥/٣٠٦/

(٤٥) عند البخاري في العلم باب رفع العلم وظهور الجهل (٨١ و٨٢) فتح الباري ١/٢١٣و٢١٤-٢١٥/ وفي النكاح باب يقل الرجال ويكثر النساء (٥٢٣١) فتح الباري ٩/ ٢٤١/ وفي الأشربة باب قول الله تعالى ﴿**إنما الخمر والميسر والأنصاب..**﴾ (٥٥٧٧) فتح الباري ١٠/٣٣/ وفي المحاربين باب إثم الزناة (٦٨٠٨) فتح الباري ١٢/ ١١٦/ ومسلم في العلم (٢٦٧١) ٤/ ٢٠٥٦/ والترمذي في الفتن باب ما جاء في أشراط الساعة (٢٢١٢) وقال حسن صحيح ٤/٨٧/ وأحمد في المسند ٣/٢٠٢/

(٤٦) عند البخاري في العلم باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس (٨٥) فتح الباري ١/٢١٨-٢١٩/ وأطرافه (١٠٣٦ و١٤١٢ و٣٦٠٨ و٣٦٠٩ و٣٦٠٩ و٤٦٣٥ و٤٦٣٦ و٦٠٣٧ و٦٥٠٦ و٦٩٣٥ و٧٠٦١ و٧١١٥ و٧١٢١) ومسلم في العلم (١٥٧) ٤/٢٠٥٧-٢٠٥٨/ وأحمد في المسند ٢/٢٦١ و٥٤٧ و٢٥٧/ وابن ماجه في الفتن باب ذهاب القرآن (٤٠٥٠) والعلم (٤٠٥٢) ٢/١٣٤٥/ وأبو داود في الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها (٤٢٥٥) ٤/٩٩/.

وعن عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما - قالا: قال النبي -ﷺ-:

«إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر الهرج، والهرج القتل»[٤٧]

فهذه الأحاديث النبوية توضح رفع العلم في هذه الحياة، وذلك على ما يظهر في آخر الدنيا، وقرب يوم القيامة.

أهداف الحديث:

ألمح في هذا الحديث أهدافاً يريد رسول الله -ﷺ- أن يلفتنا إليها لتكون نبراساً لنا في حياتنا التي نعيشها فوق هذه الأرض، يمكن أن أجمعها في ستة أهداف أحب أن أفصل الحديث عنها، وذلك لأهميتها المتعلقة بحياة الإنسان الاجتماعية، فأرجو من الله تعالى أن يوفقني و يسددني في حسن تناول هذه المسائل العلمية الهامة في حياتنا الاجتماعية.

الهدف الأول: بيان فضل الله تعالى في قبض العلم:

إننا نلمح في نص الحديث أن رسول الله -ﷺ- يريد أن يوضح فضل الله تعالى على الإنسان بعامة وعلى المسلم بخاصة حيث حكم الله تعالى وهو القادر على أن لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور العلماء وإنما يذهب العلم من الأرض بموت العلماء حيث لا يخلفهم من هو مثلهم في العلم فضلاً على أن يكون أفضل منهم.

والعلم من النعم العظيمة على الإنسان وبه كرمه الله تعالى وأسجد له ملائكته حيث علم آدم الأسماء كلها فالإنسان والعلم قرينان لا يستطيع الإنسان أن يحيا فوق هذه الأرض إلا بالعلم، وكلما زاد علماً ازدادت حاجته إلى المعرفة والعلم ﴿وقُل رَب زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: ١١٤] والله - جلت حكمته - قادر أن يجعل الناس علماء حكماء، فطنين أذكياء، كما أنه قادر أن يجعلهم جهلاء أغبياء، فقدرته على ذلك مما لا يحتاج إلى زيادة بيان، ولكن من

(٤٧) عند البخاري في الفتن باب ظهور الفتن (٧٠٦٢و٧٠٦٣) فتح الباري ١٣/١٦/ وأخرجه عن أبي موسى الأشعري (٧٠٦٤ و٧٠٦٥) ٤/٢٠٥٦-٢٠٥٧/ والترمذي في الفتن باب ما جاء في الهرج والعبادة فيه (٢٢٠٧) وابن ماجه في الفتن باب ذهاب القرآن والعلم عن ابن مسعود و(٤٠٥١) عن أبي موسى.

حكمته – سبحانه – أنه أقام هذه الدنيا على جهد الإنسان الخاص، بعد أن أعطاه الإمكانات التي تؤهله للعلم والمعرفة، والسعة الكبيرة في التمكن بالخبرات العظيمة، وأعطاه الحرية الكاملة لاختيار ما يشاء من السبل في الحياة الدنيا ليمضي فيها متعلماً متخصصا، متوسعا، والعلم هو أساس ذلك كله يستطيع الإنسان أن يحصل عليه بجده واجتهاده، ودأبه في تحصيله ومضيه في سبل العلم والتعلم، فإن طلب العلم وجدَّ في ذلك حصل على الخير الوافر كما قال رسول الله -ﷺ- «من أخذه أخذ بحظ واف»[٤٨]

فلابد من الجد في الطلب والتشمير فيه حتى يستطيع الإنسان أن يحصل على ما يشاء من العلم، وأما إذا لم يبذل الإنسان جهده فلن يستطيع أن يحصل على شيء منه وسيترك الميدان لغيره.

والحديث الشريف الذي بين أيدينا يؤكد على هذه الحقيقة، فإن الله تعالى قادر في لحظة من لحظات حياتنا الدنيا أن يسلب أهل العلم علمهم، ويجعل الجهل يعم هذه الدنيا، ولكنه -جلت قدرته – لا يفعل ذلك كما أخبرنا المصطفى -ﷺ- وإنما يقبض العلم بقبض العلماء، يعني أنه كلما جاء أجل عالم من العلماء قبضه الله إليه، وأخذه من هذه الدنيا، فإذا بقي الناس يطلبون العلم ويجدُّون في ذلك ويجتهدون في الوصول إلى أعلى درجاته فإن الناس سيجدون خلفا عمن قبض من أهل العلم فيمن أخذ عنهم العلم، وسيبقى العلم في هذه الأرض ينمو ويترعرع، ولن يحل الجهل، أما إذا قصَّر الناس في طلب العلم وتكاسلوا عن الارتقاء بأنفسهم ليصلوا إلى الدرجات العليا فيه لسبب من الأسباب من مثل: زهدهم فيه وقلة اهتمامهم به وتكاسلهم عن طلبه واشتغالهم باللهو واللعب والمرح واهتمامهم بأمور تافهة غير نافعة.. فإنه سيأتي الزمان الذي نفتش فيه عن أهل العلم فلا نجد عالماً واحداً يستطيع أن يعطينا أحكاماً صحيحة وآراء معقولة، وشرعاً مستقيما، وإنما سنجد أناساً يتخبطون في الجهل، ويفتون بغير علم، فيبعدون بذلك عن سبيل الحق وعن سبيل الخير، فليحذر الإنسان من العجز عن طلب العلم وعن الكسل في السعي إليه والله الموفق.

(٤٨) هو آخر حديث أبي الدرداء «من سلك طريقا يبتغي به علما» رواه أحمد في المسند (٢١٧٦٣ و٢١٧٦٤)٥/١٩٦/ ورواه أبو داود في العلم باب الحث على طلب العلم (٣٦٤١) والترمذي في العلم باب فضل طالب العلم أوله فقط، وأورده كاملا باب فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٢) ورواه ابن ماجه في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٣) والدارمي في المقدمة باب فضل العلم والعالم (٣٥٨) ٣/٤٦/ والحاكم في المستدرك ١/٨٨-٨٩/ وابن حبان في الصحيح (٨٨)١/٢٤٢-٢٤٣ و٢٤٦-٢٤٧/

وهذا الأمر وإن كان يبدو لأول وهلة بعيداً عن الإنسان لأنه كما ذكرت لا يستطيع أن يحيا بدون علم، إذ لابد لقيام الحياة واستمرارها من وجود العلم مع الإنسان واستمراره فيه، ولكننا نجد مَعَالِم لهذه الظاهرة تأخذ طريقها إلى حياة الإنسان، فهو يأخذ من العلم ظاهره، ويتمسك بقشوره ويترك اللب، فيكون في ظاهره متعلما، وفي حقيقته جاهلاً ، وهذا ما يطلق عليه «الأمية المقنعة» فإننا نجد أن الشهادات كثرت في أيدي الناس ولكنك إذا خبرتهم لم تجد علماً نافعا، ولا معرفة واسعة، إضافة إلى ذلك ما أمدتنا به الحضارة الحديثة والتقدم التقني حيث أصبح العالم هو الذي يعرف كيف يصل إلى المعلومة الصحيحة عن طريق هذه الآلات فقط فهو لا يحتاج إلى أن يفكر ولا أن يتدبر وإنما عليه أن يعرف كيف يصل إلى ما يريد عن طريق الحاسب، وقلةُ أولئك الذين يستطيعون تطوير البرامج، وإضافة الأمور العلمية الجديدة فالدنيا تسير بنا إلى الجهل في الوقت الذي تبدو فيه أنها تسير في طريق العلم. والله أعلم.

الهدف الثاني: طلب العلم:*

من المسائل الأساسية التي هدف الحديث لإثباتها والتنبيه على أهميتها هو طلب العلم، لأنه السبيل الوحيد لبقاء العلم فوق هذه الأرض، فما دام هناك أناس يطلبون العلم، ويجدون في طلبه فإنهم بذلك يمنعون شبح الجهل أن يخيم على هذه الدنيا، فيعمها بظلمه وظلامه، وقد حثنا الإسلام على طلب العلم والسعي إليه والحرص على التزود منه، بل إننا نرى في ابتداء نزول القرآن الكريم على قلب محمد -ﷺ- بقوله تعالى ﴿**اقرا**﴾ دليلاً واضحاً على ارتباط هذا الدين بالقراءة، وهي أساس العلم الأول التي بها يتعلم الإنسان وبها يزداد من العلم، وكذا قوله في تلك الآيات ﴿**عَلَّمَ بالقلم**﴾ بيان لأساس العلم الثاني وهو الكتابة التي بها تنقل العلوم من الأسلاف إلى الأخلاف، وبها تدون الفوائد وتبقى لمن يريدها، فالعلم والإسلام قرينان لا يفترقان، فحيث حل الإسلام حل العلم.

* لم يخل كتاب من كتب السنة من باب أو كتاب يحمل اسم «كتاب العلم» ففي صحيح البخاري (١٠٢) فيه (٥٣) بابا، وفي كتاب العلم من السنن الكبرى للنسائي (٧٩) حديثاً. وفي ترتيب مسند الإمام أحمد «الفتح الكبير» (٨١) حديثا، وفي كتاب العلم من مجمع الزوائد (٤٩٩) حديثاً في (١١٤) بابا، وفي مستدرك الحاكم بلغت أحاديث العلم (٤٤) صفحة، وفي الترغيب والترهيب للمنذري جمع كتاب العلم (١٤٠) حديثا، كما نرى أن الإمام ابن عبد البر محدث الأندلس قد ألف كتاباً أسماه «جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله» وإبراهيم بن سعد الله بن جماعة ألف كتاب «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم» وفي كتب الخطيب البغدادي مواضيع كثيرة عن العلم، وأجزاء في بعض موضوعات العلم.

وقال الله تعالى: ﴿**فلولا نَفَرَ من كُلِّ فِرقةٍ منهُمْ طائفةٌ ليتفَقَّهُوا في الدين ولِيُنذِرُوا قومَهُم إذا رجَعُوا إليهم لعلَّهم يحذَرُون**﴾ [التوبة: ١٢٢] فيأمر الله تعالى باختيار طائفة منتقاة من كل مجموعة من مجموعات الناس لتقوم هذه الطائفة بطلب العلم، وتتفقه فيه، ثم تقوم بدورها الفعال في إنذار أقوامها حين يرجعون إليهم، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في هذه الآية: يعني السرايا تنفر عصبة وتقعد عصبة (ليتفقهوا في الدين) يقول يتعلموا ما أنزل الله على نبيه ﷺ ويعلموه السرايا إذا رجعت إليهم لعلهم يحذرون.[٤٩]

وقال تعالى ﴿**وقل رب زدني علما**﴾ [آية (١١٤) طه] فالله تعالى لم يأمر نبيه (بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم، وذلك لأن العلم لا يشبع منه الإنسان بل كلما ازداد منه ازداد نهماً إليه وطلباً له.

وقال جل جلاله: ﴿**وما أُوتيتُمْ من العلمِ إلا قَليلاً**﴾ [آية (٨٥) الإسراء] وهذا فيه حث كبير لطلب العلم لأن الله تعالى يقرر أن الإنسان مهما ازداد من العلم فهناك علم عظيم ينتظره، فكل ما أوتيه الإنسان من العلم إنما هو جزء قليل من العلم الكائن في هذا الوجود، ولهذا قال الإمام الشافعي: كلما ازددت علما زادني علماً بجهلي.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال:

«من التمس طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»[٥٠]، فيحثنا الرسول الكريم -ﷺ- على طلب العلم، أي علم كان لأنه يوصل طالبه إلى الجنة بما يطلعه على أسرار هذا الكون الفسيح الذي حوى كل بديع من الخلق مما يجعل الإنسان العالم يذعن للخالق العظيم بالقدرة المطلقة والعلم الواسع.

والعلم المراد في هذا الحديث هو العلم الشرعي بدلالة ربط الجهالة بالضلالة ولا تطلق إلا على العلم الذي هو هداية، وهو العلم الذي يربط الإنسان بربه والذي يجعله دائماً وأبداً يرجع إليه ليعرف حكم الله تعالى في عمله الشخصي، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال:

---

(٤٩) جامع البيان ٦٧/١١/ والمدخل للبيهقي (٣٣٤) /٢٤٤/ وشعب الإيمان ٢٨٣/٤/

(٥٠) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩) من طرق خمسة ٢٠٧٤/٤/ ورواه غيره.

«احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»[٥١]، فمن جملة ما يجب أن يحرص عليه الإنسان مما ينفعه هو العلم الواسع العريض الذي لا يمكن أن ينتهي إلى حد ولا يقف عند مجال من المجالات، وحث رسول الله -ﷺ- في حديثه أن يستعين بالله تعالى في طلبه للعلم ولا يعجز عن الاستمرار فيه مهما لاقى من العقبات والمثبطات، قال رسول الله -ﷺ-:

«منهومان لا يشبعان طالب علم، وطالب الدنيا»[٥٢] فطالب العلم لا يشبع مهما ازداد من العلم جمعاً لمسائله وفهماً لمعانيه، ولا يرتوي مهما عب من بحاره الواسعة المتلاطمة، ومائه السلسبيل الصافي، وهذه النصوص عامة تشمل الرجال والنساء، ولهذا رأينا نساء السلف يحرصْنَ على العلم وَيُطْلُبْنَه، فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قالت النساء للنبي -ﷺ-: «غلبنا عليك الرجال، فاجعل لَنَا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً يلقينه فيه، فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن: «ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كن لها حجاباً من النار، فقالت امرأة: واثنين فقال: واثنين[٥٣].

وقالت عائشة -رضي الله عنها- : «نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[٥٤] فنساء هذه الأمة كن حريصات على العلم كحرص الرجال، وهذا ما يوجبه الإيمان على كل فرد من أفراد هذه الأمة.

ومما تجب الإشارة إليه هنا هو أن الإسلام قد جعل العلم نوعين:

- الأول: هو العلم الذي لا يجوز جهله عند أي مسلم، وهو ما يسمى: (فرض العين).

---

(٥١) رواه مسلم في القدر ضمن حديث (٢٦٦٤)٤/٢٠٥٢/ ورواه غيره

(٥٢) رواه الدارمي في العلم باب فضل العلم والعالم (٣٤٨) ٣/٣١/ ورواه الدارمي مقطوعاً في قوله: في المقدمة كتاب العلم باب فضل العلم والعالم (٣٤٧)٣/٢٦/ ورواه الطبراني في الكبير. قال الهيثمي: سوفيه أبو بكر الداهري وهو ضعيف. مجمع الزوائد ١/١٣٥/ عن ابن مسعود رضي الله عنه ورواه الطبراني في الكبير (١١٠٩٥) ١١/٧٦/ وفي الأوسط وابن أبي شيبة في المصنف (٦١١٦٩)٨/٥٤١/ والبزار كشف الأستار (١٦٣)١/٩٥/ عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، ورواه البيهقي في الشعب ٧/٢٧١/ ورواه عن أنس. الحاكم في المستدرك وصححه وأقره الذهبي ١/٨٩/

(٥٣) رواه البخاري في العلم باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم (١٠١) ١/٢٣٦/ وطرفاه (٢١٤٩و ٧٣١٠) ومسلم في البر والصلة (٢٦٣٤)

(٥٤) رواه البخاري تعليقاً في العلم باب الحياء في العلم ١/٢٧٦/ ووصله مسلم في الحيض (٣٣٢)١/٢٦٠-٢٦١/.

الثاني: هو العلم الذي يعلمه الخاصة من العلماء والمجتهدين وهو (فرض الكفاية).

قال الإمام الشافعي: العلم علمان: علم عامة لا يسع بالغاً غير مغلوب على عقله جهلُه مثل أن الصلوات خمس، وأن الله فرض على الناس صوم شهر رمضان، وحج البيت إن استطاعوا، وزكاة في أموالهم، وأنه حرم عليهم الزنا والقتل والسرقة والخمر وما كان في معنى هذا مما كلف العباد أن يفعلوه ويعلموه، ويعطوه من أنفسهم وأموالهم، وأن يكفوا عنه مما حرم عليهم منه، وهذا الصنف من العلم كله موجود نصاً في كتاب الله -عز وجل-، وموجود عاماً عند أهل الإسلام ينقله عوامهم عمن مضى من عوامهم يحكونه عن رسول الله -ﷺ- ولا يتنازعون في حكايته ولا وجوبه عليهم. فهذا العلم العام الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر ولا التأويل ولا يجوز فيه التنازع.

والوجه الثاني:ما ينوب العباد من فروع الفرائض، وما يخص به من الأحكام وغيرها مما ليس فيه نص كتاب ولا في أكثره نص سنة، وإن كان في شيء منه سنة فإنما هي من أخبار الخاصة لا أخبار العامة، وما كان منه يحتمل التأويل، ويستدرك قياسا، وهذه درجة من العلم ليس تبلغها العامة، ولم يكلفها كل الخاصة، ومن احتمل بلوغها من الخاصة، فلا يسعه أن يعطلها، وإذا قام بها من خاصتهم من فيه الكفاية لم يُحْرِج غيرَه ممن تركها إن شاء الله -تعالى- والفضل فيها لمن قام بها على من عطلها[٥٥]. والحديث يريد - والله أعلم- النوع الثاني من العلم الذي هو فرض على الكفاية، ولكن إذا انقطع هذا النوع من الأرض فإن النوع الأول سيكون في طريقه إلى الانقراض لأن العلماء هم الذين يذكرون الناس بالعلوم الواجبة عليهم، وهم الذين يفقهونهم بها، والله أعلم وأحكم.

وأكتفي بهذا القدر في هذا الموضوع حيث أردت أن أعطي صورة عامة لما يجب في النصوص الشرعية من الحث على طلب العلم، وقد أُلفت كتب في القديم والحديث تبين فضل العلم، ومكانته، والحث على طلبه، وفقنا الله تعالى لنكون من أهل العلم العاملين بمقتضاه والله ولي التوفيق.

(٥٥) الرسالة للشافعي/٣٥٧-٣٦٠/

الهدف الثالث: «خلو الزمان من مجتهد، ومتى يكون ذلك؟

استدل بعض العلماء من حديث ابن عمرو - رضي الله عنهما- في قبض العلم على جواز خلو هذه الدنيا في زمن من الأزمان من مجتهد يعطي للمشكلات التي تحل في البلاد حلولاً مبنية على شريعة الله تعالى التي بينتها نصوص الكتاب والسنة، وآراء مجتهدي الأمة.

وقد قال بجواز خلو الدنيا من مجتهد جمهور الأصوليين، خلافاً لأكثر الحنابلة، وبعض العلماء من غير الحنابلة [٥٦].

والحديث واضح، وصريح في:

- رفع العلم بقبض العلماء.
- ترئيس أهل الجهل، ومن لازمه الحكم بالجهل، وإذا انتفى العلم ومن يحكم استلزم انتفاء الاجتهاد، وانتفاء وجود المجتهد.

فالحديث دليل لهذه المسألة بعينها.

ولكننا نجد أن هذا الحديث يعارضه حديث آخر، وهو حديث:

«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله» وفي لفظ حتى تقوم الساعة[٥٧]

وكذا حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»[٥٨]

وأجاب بعضهم عن هذا الحديث:

١: بأنه ظاهر في عدم خلو الزمان من مجتهد إلا أنه لا ينفي جواز ذلك.

---

(٥٦) ينظر في هذه المسألة: المستصفى للغزالي /٣٩٩/ إحكام الأحكام للآمدي ٢/٤٥٥/ نهاية السول ٢/١٠٥٥-١٠٥٦/ وانظر في التشريع الإسلامي/٩٢-٩٦/ إرشاد الفحول/٢٥٣/والاجتهاد وتيسير التحرير ٤/٢٤٠/ وسلم الثبوت ٢/٣٩٩/ ومباحث في أصول الفقه/٦٥-٦٩/ وغيرها من كتب الأصول.

(٥٧) هو حديث متواتر جاء عن كثير من أصحاب النبي -ﷺ- وسأذكر بعض أطرافه.

(٥٨) رواه الحاكم والبيهقي

٢: هذا الحديث وإن كان ظاهراً في عدم الخلو إلا أن حديث ابن عمرو -رضي الله عنهما- أظهر منه في الدلالة على خلو الأرض من مجتهد، فيقدم عليه.

٣: إذا قلنا بتعارض الحديثين، فنرجع إلى أن الأصل عدم المانع من خلو الزمان من وجود مجتهد في هذه الأرض.

٤: وقال القائلون بتقديم حديث «الطائفة المنصورة» وأنه لا بد من وجود مجتهد في هذه الأرض أن الاجتهاد فرض كفاية، فإذا جوزنا انتفاءه فقد جوزنا على الأمة أن تتفق على الباطل، وهذا لا يكون في هذه الأمة حيث أنها لا تتفق ولا تجتمع على ضلالة.

٥: وذهب الإمام الطبري وابن بطال إلى أن حديث الطائفة المنصورة يخصص الأحاديث التي تدل على فقدان أهل الإيمان وأهل العلم من الأرض، فقال ابن بطال: هذا الحديث وما أشبهه ليس المراد به أن الدين ينقطع كله في جميع الأرض حتى لا يبقى منه شيء، لأنه ثبت أن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة إلا أنه يضعف ويعود غريبا كما بدأ.

ثم أورد حديث «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق» ثم قال: فَتَبَيَّنَ من هذا الحديث تخصيص الأخبار الأخرى، وأن الطائفة التي تبقى على الحق تكون ببيت المقدس إلى أن تقوم الساعة. قال: فبهذا تأتلف الأخبار)[٥٩]

وجوز الطبري أن يضمر في كل من الحديثين المحل الذي يكون فيه تلك الطائفة، فالموصوفون بشرار الناس الذين يبقون بعد أن تقبض الريح من تقبضه يكونون مثلاً ببعض البلاد كبيت المقدس لقوله -ﷺ- في حديث معاذ «إنهم في الشام» وفي لفظ «ببيت المقدس»[٦٠]

وقد حاول الإمام ابن حجر يرحمه الله تعالى الجمع بين الأحاديث الواردة في هذا، فبين أن المراد ببقاء الطائفة المنصورة التي تكون على الحق إنما هو حين يأتي أمر الله تعالى ببعث الريح التي تهب بعد نزول عيسى عليه السلام، فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا قبضته، ويبقى شرار الناس فعليهم تقوم الساعة»[٦١]

(٥٩) انظر فتح الباري ١٣/٨٢/

(٦٠) انظر فتح الباري ١٣/٣٠٠/

(٦١) رواه مسلم في الإيمان (١١٧)١/١٠٩/

وأما رواية «حتى تقوم الساعة» فذهب ابن حجر يرحمه الله إلى أنها محمولة على إشرافها بوجود آخر أشراطها، أي وقوع الآيات العظام التي يعقبها قيام الساعة، ولا يختلف عنها إلا شيئاً يسيراً.

ويؤيده حديث حذيفة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

«يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب»[٦٢]

كما يؤيده حديث عمران بن حصين -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم الدجال»[٦٣] فإن الذين يقاتلون الدجال يكونون بعد قتله مع عيسى عليه السلام ثم يرسل عليهم الريح الطيبة، فلا يبقى بعدهم إلا الشرار كما تقدم.

قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى: «ويمكن أن تنزل هذه الأحاديث على الترتيب في الواقع، فيكون:

أولاً رفع العلم بقبض العلماء المجتهدين الاجتهاد المطلق. ثم المجتهدين الاجتهاد المقيد.

ثانياً فإذا لم يبق مجتهد استووا في التقليد، لكن ربما كان بعض المقلدين أقرب إلى بلوغ درجة الاجتهاد المقيد من بعض، ولاسيما إذا فرعنا على جواز تجزئ الاجتهاد ولكن لغلبة الجهل يقدم أهل الجهل أمثالهم، وإليه الإشارة في الحديث بقوله «اتخذ الناس رؤوساً جهالاً» وهذا لا ينفي الحديث ترئيس بعض من لم يتصف بالجهل التام، كما لا يمنع ترئيس من ينسب إلى الجهل في الجملة في زمن أهل الاجتهاد.

وقد أخرج ابن عبد البر في كتاب العلم من طريق عبد الله بن وهب[٦٤] قال: سمعت خلاد بن سليمان الحضرمي يقول حدث دراج أبو السمح قال: «يأتي على الناس زمان يسمن الرجل راحلته حتى يسير عليها في الأمصار يلتمس من يفتيه بسنة قد عمل بها، فلا يجد

(٦٢) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن باب ذهاب العلم والقرآن (٤٠٣٩)

(٦٣) رواه أحمد في المسند ٤/٤٢٩ و٤٣٤و٤٣٧/ وأبو داود في الجهاد (٢٤٨٤)٣/٤/

(٦٤) فتح الباري (١٣)/٣٠

إلا من يفتيه بالظن» فيحمل على أن المراد الأغلب الأكثر في الحالين، وقد وجد هذا مشاهداً.

ثم يجوز أن يقبض أهل تلك الصفة، ولا يبقى إلا المقلد الصرف، فحينئذ يتصور خلو الزمان عن مجتهد حتى في بعض الأبواب، بل في بعض المسائل ولكن يبقى من له نسبة إلى العلم في الجملة، ثم يزداد حينئذ غلبة الجهل وترئيس أهله.

ثم يجوز أن يقبض أولئك حتى لا يبقى منهم أحد، وذلك جدير بأن يكون عند خروج الدجال، أو بعد موت عيسى عليه السلام، وحينئذ يتصور خلو الزمان عمن ينسب إلى العلم أصلاً.

ثم تهب الريح فتقبض كل مؤمن، وهناك يتحقق خلو الأرض عن مسلم فضلاً عن عالم، فضلاً عن مجتهد، ويبقى شرار الناس، فعليهم تقوم الساعة والعلم عند الله تعالى»[٦٥]

وكلام ابن حجر هذا في غاية التحقيق بالجمع بين أحاديث الطائفة المذكورة، وقد حدث مثل هذا الاختلاف بين أصحاب رسول الله -ﷺ- حيث قال عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق هم شر من أهل الجاهلية» فقال عقبة بن عامر -رضي الله عنه- : عبد الله -رضي الله عنه- أعلم بما يقول، وأما أنا فسمعت رسول الله -ﷺ- يقول:

(لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك) فقال عبد الله: «أجل، ويبعث الله ريحاً ريحها ريح المسك ومسها مس الحرير، فلا تترك أحداً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس فعليهم تقوم الساعة»[٦٦]

وكلام عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أراد به الجمع بين الأحاديث الواردة في هذا الموضوع، وقد وافقه الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى في هذا الجمع الدقيق الواضح.

(٦٥) فتح الباري ١٣/٣٠١/ ونحوه باختصار /٣٠٧/

(٦٦) هذه رواية الحاكم، والحديث عند مسلم في الإمارة (١٩٢٤)٣/١٥٢٤-١٥٢٥/

ومن الأحاديث الواردة في بقاء شرار الناس في هذه الأرض: ما جاء عن عائشة رضي الله عنها عن النبي -ﷺ- قال:

(لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى، وفيه يبعث الله ريحاً طيبة فتوفى كل من في قلبه مثقال خردلة من إيمان، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم)[٦٧]

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- عن النبي -ﷺ-:

(يخرج الدجال في أمتي.. وفيه: فيبعث الله عيسى بن مريم، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال حبة من خير أو إيمان إلا قبضته وفيه، فيبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكرا، فيتمثل لهم الشيطان، فيأمرهم بعبادة الأوثان ثم ينفخ في الصور)[٦٨]

وبهذا يكون المعنى المقصود -والله أعلم- أن الله تعالى لا يخلي الأرض من العلم ما دام المسلمون فوقها، أما حين تقترب الساعة، ويفقد أهل الإيمان أو يكاد فعند ذلك يقدم للرئاسة والإفتاء الجهال الذين لا يعلمون وجوه القول ولا الدلائل على الأحكام، وإنما هو الرأي المبني على الميل النفسي والهوى، فعند ذلك يكون خلو الأرض من المجتهد الذي يستطيع أن يعطي أحكاماً صحيحة للناس، وإلا فإن فضل الله تعلى على الناس يجعل منهم علماء فقهاء، ويعطيهم القدرة على الفهم والاستنباط والتعمق المنضبط لكل حادثة من حوادث هذه الدنيا، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولا يجوز أن نحكم بحجر الفضل عن الأمة في أي زمن من الأزمان. والله ولي التوفيق.

(٦٧) مسلم في الفتن (٢٩٣٧)٤/٢٢٥٥/ وأحمد في المسند ٤/١٨٢/

(٦٨) مسلم في الفتن (٢٩٤٠)٤/٢٢٥٨-٢٢٥٩/ وأحمد في المسند ٢/١٦٦/

الهدف الرابع: الفتوى «أحكامها وشروطها»:*

دلنا الحديث على الزجر عن ترئيس الجاهل لما يترتب عليه من المفسدة، وقد يتمسك به من لا يجيز تولية الجاهل بالحكم، ولو كان عاقلاً عفيفاً.

ومن المعلوم أن النصوص الشرعية من الكتاب والسنة محدودة، والحوادث التي تحدث وتحتاج إلى حكم غير محدودة، ولا يمكن للمحدود أن يحيط بغير المحدود، فالنصوص الشرعية لم تحط بالحوادث، ولما كان الشرع لا بد أن يكون له حكم في كل مسألة من مسائل الناس والحياة علمنا أن الشرع أحالنا إلى طريق آخر غير النصوص الشرعية، وذلك الطريق هو طريق الاجتهاد بأنواعه من قياس وغيره، فبالاجتهاد يتمكن التشريع الإسلامي الخاتم من مجابهة الحياة المتطورة، وتلبية حاجات البيئات المختلفة في الإسلام، والجميع يتطلع إلى حكم الإسلام، والاحتكام إليه، والأخذ بما يتفق مع حكمه ونبذ كل جديد تأباه قواعد الإسلام ومبادئه، فالاجتهاد بحق العقل الساهر على نمو الفقه وازدهاره.[٦٩]

والاجتهاد: بذل الفقيه وسعه في تحصيل حكم شرعي ظني.

والاجتهاد على نوعين:

صحيح: وهو المشتمل على جميع الشرائط، وهذا النوع مأمور به شرعا ولا مذمة لفاعله على القيام به، وهو الذي يكون الرأي فيه مبنيا على الطرق التي مهد الشارع له بها وجعلها أمارات على الأحكام الشرعية، وكان منضبطاً ومسايراً لمقاصد الشريعة في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

---

* الفتوى لغة اسم مصدر بمعنى الإفتاء، والجمع: الفتاوى والفتاوى. يقال أتيته فتوى وفتيا، أي أجبته عن مسألته، والفتيا تبين المشكل من الأحكام، والاستفتاء -لغة-: طلب الجواب عن الأمر المشكل. وفي الاصطلاح: تبيين الحكم الشرعي عن دليل لم يُسْأَلْ عنه.
والمفتي: اسم فاعل من أفتى، فمن أفتى مرة فهو مفت، ولكنه يحمل في العرف الشرعي بمعنى أخص من ذلك. قال الصيرفي: هذا الاسم موضوع لمن قام للناس بأمر دينهم وعلم جمل عموم القرآن وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، وكذلك السنن والاستنباط، ولم يوضع لمن علم مسألة وأدرك حقيقتها، فمن بلغ هذه المرتبة سموه بهذا الاسم، ومن استحقه أفتى فيما استفتي فيه /٢٠/ الموسوعة الفقهية (حرف الفاء).

(٦٩) الاجتهاد في التشريع الإسلامي/٨/ وانظر أيضا٢٧/و٣٧/و٤٢/ و٤٦/

وفاسد: وهو بخلاف الأول، وهو الذي اختل فيه شرط من شروط الاجتهاد الصحيح، فيكون لذلك مذموماً لا يجوز أن يقدم عليه صاحبه حتى يستتم جميع الشروط التي شرطها العلماء في الأمر المُجْتَهدِ فيه، وكذا الشروط في القائم بالاجتهاد.

أما الشروط في الأمر المُجْتَهدِ فيه فهي:

١. أن لا يكون منصوصاً عليه في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله المصطفى ﷺ، وذلك مثل: حرمة الربا، وحرمة الخمر، وتحريم لحوم الحمر الأهلية، وتحريم نكاح المتعة.

٢. أن لا يكون مجمعاً عليه من علماء الأمة في عصر من العصور فالإجماع لا ينسخ كما هو معلوم، اللهم إلا إذا كان الإجماع مبنياً على مصلحة وتغيرت هذه المصلحة.[٧٠]

أما شرائط المجتهد*:

لقد شمل التعريف أشياء لا يمكن أن يتحقق الاجتهاد إلا بتحققها من بذل الوسع واستفراغ الطاقة والوسع، وهذا يتطلب شخصاً توافرت فيه صفات الاجتهاد وهي:

١. أن يكون مسلما، مكلفاً لأنه هو الذي يشعر بالمسؤلية بما يقول ويفتي به، ويعلم أنه سيقف أمام الله تعالى، فيسأله لم قلت؟ ومن أين قلت ما قلت؟ فلا يجتهد إلا بعد أن يحيط علماً بالمسألة المعروضة عليه إحاطة تنير له طريق الاجتهاد .

٢. أن يكون عالماً بآيات الأحكام من كتاب الله تعالى. وذكر بعض العلماء أن المطلوب منه أن يكون عالماً بأكثر أحكام القرآن الكريم، ولا يشترط إحاطته بكل الأحكام، وقال الإمام الغزالي: «يشترط معرفته بما يتعلق منه بالأحكام، وهو مقدار خمسمائة آية، ولا يشترط حفظها عن ظهر قلب، بل أن يكون عالماً بمواقعها حين تطلب الآية إذا احتيج إليها بيسر وسهولة، كما يستطيع معرفة معانيها كذلك.»

وقال ابن المبارك: إنها تسعمائة آية. وعن أبي يوسف: أنها ألف ومائة آية، قال في روضة الناظر: «إن دعوى الانحصار في هذا القدر إنما هو باعتبار الظاهر إذ من له

(٧٠) السابق: /٢١/

* السابق/٢٩/

فهم صحيح وتدبر كامل يستخرج الأحكام من الآيات الواردة لمجرد القصص والأمثال، والواقع أن غالب القرآن لا يخلو من أن يستنبط منه حكم شرعي.

٣. أن يكون عالماً بسنة رسول الله -ﷺ- و لا يشترط فيها أيضا الحفظ ولا معرفة مالا يتعلق بالأحكام، وإنما يكفي أن يعرف الأحاديث المتعلقة بالأحكام الشرعية، ويكفيه أن يكون عنده أصل مصحح لجميع أحاديث الأحكام أو اعتنى فيه مؤلفه بأحاديث الأحكام، ويستطيع أن يتعرف فيه بيسر وسهولة مواقع كل باب فيراجعه وقت الحاجة.

٤. الإجماع، فلابد أن يعرف مواضع الإجماع حتى لا يفتي بخلافه، ولكنه لا يلزمه حفظ جميع مواقعه بل كل مسألة يفتي فيها، فينبغي أن يعلم أن فتواه ليست مخالفة للإجماع، إما بموافقة مذهب عالم من علماء أهل السنة والجماعة أو تكون الواقعة متولدة في العصر الذي هو فيه ليس لأهل الإجماع فيه خوض.

٥. القياس: فلا بد أن يعرف ماهيته، ويعرف شرائطه وكيفيته، فالقياس مناط الاجتهاد وأصل الرأي، ومنه يتشعب الفقه وأساليب الشريعة، وعلى أساسه تقوم أحكامها.

٦. كيفية النظر في الأدلة والنصوص الشرعية، فلابد من معرفته لشرائط البراهين، وكيف تركب المقدمات وكيف تستنتج النتائج بناء على تلك المقدمات، ليكون على بصيرة من نظره.

٧. علم العربية لغة ونحواً و تصريفا، فلابد لمن يريد الاجتهاد والإفتاء أن يكون عارفاً منها بالقدر الذي يفهم به خطاب العرب، وعاداتهم في الاستعمال إلى حد يميز به بين صريح الكلام، وظاهره، ومجمله، ومبينه، وحقيقته، ومجازه، وعامه، وخاصه إلى غير ذلك بحيث يتمكن من فهم القرآن والسنة على وجههما الصحيح لأنهما وردا بلسان العرب، وجرياً على أساليب العرب، وليس عليه أن يبلغ مبلغ سيبويه أو الخليل بن أحمد.

٨. أن يكون عالماً بالناسخ والمنسوخ من نصوص القرآن والسنة مخافة أن يقع في الحكم المنسوخ المتروك، ولا يشترط حفظ ذلك جميعه، ويكفي أن يكون عنده مرجع جامع يرجع إليه عند اللزوم.

٩. أن يعرف حال الرواة في القوة والضعف، وتمييز الصحيح من الفاسد، والمقبول من

المردود والسليم من السقيم من حديث رسول الله -ﷺ- وليكتف بتعديل الإمام العدل بعد أن يعرف صحة مذهبه في التعديل، فيمكن أن يقول على قول أئمة المحدثين كأحمد والبخاري ومسلم وأبي داود والدارقطني لأنهم أهل المعرفة بذلك، فجاز الأخذ بقولهم كما يؤخذ بقول المقومين في القيم.

١٠. أن يكون على اطلاع على أقاويل السلف، وعالما بالوفاق والخلاف من اختلاف العلماء، وأقوال فقهاء الصحابة والتابعين، وذلك يعطيه ملكة فقهية، كما يطلعه على طريقتهم في الاستنباط، واستخراج الحكم من النصوص، وهم أقرب الناس بصاحب الرسالة -ﷺ- وأكثر دقة وخبرة بنصوص الشريعة.

١١. أن يكون المجتهد أوالمفتي صحيح العقل، دقيق الفهم، لا يميل مع الهوى، ولا يندفع مع العاطفة، شديد الملاحظة ليستطيع أن يفرق بين المشتبهات، ويعطي العلة الصحيحة لكل حكم، ويكون قياسه دقيقا، ونظره وثيقا قال ابن الصلاح: ويكون فقيه النفس، سليم الصدر، رصين الفكر، صحيح التصرف والاستنباط، مستيقظا.

١٢. أن لا يسرع في إعطاء الحكم، وبذل الفتوى، وإنما ينظر ويردد النظر ويستمع لمن خالفه في الرأي ليتنبه بذلك على غفلة إن كانت عنده في النظر، فالمخالف ينبه على أمور قد لا ينبه عليها الموافق، ويكون كثير المذاكرة مع أهل العلم والمشاورة لهم ليتثبت في الجواب خوفا من الافتراء على الله تعالى بتحليل حرامه وتحريم ضده.

١٣. أن يبلغ غاية جهده، وينصف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما قال، قال ابن عابدين: «بأن يحس المجتهد في نفسه العجز عن المزيد عما بذله، ولذلك قالوا: إن الاجتهاد لا يكون إلا فيما فيه كلفة»[٧١].

١٤. أن يكون ممن بان فضله وصدقه وورعه، ويكون حافظا للسانه ممسكا عن الكلام البذيء أو التحدث عن غيره من أهل العلم، وحافظا بطنه من أكل ما فيه حرام أو شبهة بالحرام، حتى يكون مقبول الدعاء، مقبول الحديث، وحافظا فرجه عن الحرام، مستقيم السيرة لا تعرف له نقائص في تصرفاته العادية الاجتماعية وهذا على القول باشتراط

(٧١) حاشية ابن عابدين/٤/٣٣٦/

العدالة في المجتهد، وقيل لا تشترط، وعلى كل فهو شرط لقبول قوله فمن ليس عدلاً لا تقبل فتواه، ولا يكون قوله صالحاً للاعتماد، وإن كان من أهل الاجتهاد.

قال أبو علي الكرابيسي - صاحب الشافعي- بعد أن ذكر صفات من هو أحق الناس بالقضاء-: «وهذا - وإن كنا نعلم - أنه ليس على وجه الأرض أحد يجمع هذه الصفات ولكن يجب أن يطلب من أهل كل زمان أكملهم وأفضلهم»

ويقول الغزالي: «كلما كان الإنسان في هذه العلوم التي لابد منها في الاجتهاد أكمل كان منصبه فيه أتم».

وقال المهلب: «لا يكفي في استحباب القضاء أن يرى نفسه أهلاً لذلك، بل أن يراه الناس أهلاً لذلك.

وقال ابن حبيب: « فإن لم يكن علم، فعقل وورع، لأنه بالورع يقف، وبالعقل يسأل، وهو إذا طلب العلم وجده، وإذا طلب العقل لم يجده.

وقال الحسن البصري: أخذ الله على الحكام أن لا يتبعوا الهوى، ولا يخشوا الناس، ولا يشتروا بآيات الله ثمناً قليلا، ثم قرأ: ﴿**يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**﴾ [ص: ٢٦] وقرأ ﴿**إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾ [المائدة: ٤٤] وقرأ ﴿**وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلما...**﴾ [الأنبياء: ٧٨-٧٩]

قال الحسن: «فحمد سليمان، ولم يلم داود، ولولا ما ذكر الله من أمر هذين لرأيت أن القضاة هلكوا، فإنه أثنى على هذا بعلمه، وعذر هذا باجتهاده»[٧٢]

(٧٢) رواه الإمام البخاري في الأحكام باب متى يستوجب الرجل القضاء؟ ١٣/١٥٦/

وقال عمر بن عبد العزيز: «خمس إذا أخطأ القاضي منهن خطة كانت فيه وصمة:

١. أن يكون فهماً (أي شديد الفهم يستطيع استنباط الحكم وتنزيله على النازلة الماثلة بيسر وسهولة).

٢. حليماً (أي يغض على من يؤذيه ولا يبادر إلى الانتقام، ويصبر على السائل حتى يعرف مسألته على وجهها).

٣. عفيفاً (أي يعف عن الحرام، فإنه إذا كان عالماً ولم يكن عفيفاً كان ضرره أشد من ضرر الجاهل).

٤. صليباً (أي قوياً شديداً يقف مع الحق ولا يميل مع الهوى، ويستخلص حق المحق من المبطل ولا يحابيه).

٥. عالماً سؤولاً عن العلم[٧٣] (أي أن يكون مع استحضاره للعلم مذاكراً له غيره لاحتمال أن يظهر له ما هو أقوى مما عنده).

وهذه الصفات لابد أن توجد في المجتهد أو المفتي لأنه في الحقيقة نائب عن الله تعالى في بيان حكمه في أفعال العباد، فلابد أن يكون على هذه الصفات ليكون قدوة للناس عليهم اتباعه، والنظر إليه نظرة الإجلال والاحترام والتقدير، فهو وريث النبي -ﷺ- وحامل إرثه، فلابد أن يكون مثالاً يحتذى، وفق الله أهل العلم حتى يكونوا بهذه المثابة في كل تصرفاتهم.

مراحل الاجتهاد:

إذا نزلت نازلة من النوازل الفقهية أو جاء سؤال إلى المفتي، وطلب جواب هذا السؤال، فالأمر على وجهين:

الأول: ما كان منصوصاً عليه في الكتاب أو السنة، فلا يحل فيه الاختلاف بل يجب على المفتي أن يُعطيَ الحكم كما هو في النص لا يحيد عنه.

(٧٣) رواه البخاري معلقاً في الأحكام باب متى يستوجب القضاء ١٥٦/١٣/ قال ابن حجر: «وهذا الأثر وصله سعيد بن منصور في السنن ومحمد بن سعد في الطبقات» فتح الباري ١٦٠/١٣/

الثاني: ما كان يحتمل التأويل من النصوص، أو يدرك بالقياس، فالقرآن هو الأصل فإن كانت دلالته خفية، فعند ذلك ينظر في السنة، فإن بينته فيأخذ ببيان السنة، وإلا فعليه بالنص الجلي من السنة، فإن كانت دلالة السنة لهذا الأمر خفية نظر فيما اتفق عليه الصحابة، فإذا اختلفوا رجح أحد الأقوال وأخذ به، فإن لم يجد عمل بما يشبه نص الكتاب، ثم السنة ثم ما يشبه ما اتفق عليه الصحابة، ثم بفتوى أكابر الصحابة، ويرجح فيما بينهم، فعند ذلك لا بد أن يجتهد رأيه في إعطاء الحكم بما يشبه عموميات الشريعة.[٧٤]

الهدف الخامس: حكم من اجتهد فأخطأ:

لقد بين الحديث أن الرؤساء الجهلة الذين وضعهم الناس قادة لهم يفتونهم في دين الله تعالى ويبينون حكم الله تعالى في أعمال الناس أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا.

فحكم عليهم رسول الله -ﷺ- بالضلال في أنفسهم لأنهم لم يمكنوها من معرفة الحق بتتبع مسائل العلم، وأضلوا غيرهم حيث اتبعوهم في الحكم الذي أبدوه لهم في المسائل المعروضة عليهم.

ومن هنا نتساءل في هذا المجال عن حكم من اجتهد فأخطأ هل هو آثم كإثم هؤلاء، أم ليس بآثم؟ وبخاصة أن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - روى أنه سمع رسول الله -ﷺ- يقول:

«إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر»[٧٥]

---

(٧٤) انظر فيما سبق: نهاية السول للأسنوي ٢/١٠٤٧-١٠٥٩/ والإبهاج شرح المنهاج٣/٢٥٤-٢٥٦/ والموسوعة الفقهية حرف الفاء، وحرف الألف (الاجتهاد).وكشف الأسرار شرح أصول البزدوي ٤/٢٥-٢٦/ والأشباه والنظائر للسيوطي /٥٤٤/ والمغني لابن قدامة ٩/٤١-٤٢/ والإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٢/٣٩٦-٤٦٠/ وفتاوى السبكي /٥٤٤/ والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢/٦٢٩/ وروضة الناظر ٣/٩٦٩-١٠٢٨/ ونفائس الأصول ٩/٤٠٢٦-٤١٥٨/ والمحصول للرازي٣-٢/٥-١٢٨/ وإرشاد الفحول/٣٧٠-٤٠٢/ والمستصفى ٢/٣٦٢-٤٠٧/ والموافقات للشاطبي٤/٤٨-/١٦٠/ والتحرير للكمال والتقرير والتجبير عليه لابن أمير الحاج ٣/٣٠٨-٣٠٩/ المحصول للرازي/ الاجتهاد في التشريع الإسلامي/١٠٧-١١٥/وأدب المفتي والمستفتي.

(٧٥) رواه البخاري في الاعتصام باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٧٣٥٢) فتح الباري ١٣/٣٣٠/ ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

فالحديث الأول يبين أن الذي يتكلم بغير علم في ضلال، والحديث الثاني يبين أن المخطئ في الاجتهاد له أجر على اجتهاده.

وقد بين لنا رسول الله - ﷺ - أن الخطأ الذي يكون في الاجتهاد قد يكون سببه المقدرة عند أحد المرافعين حيث آتاه الله ملكة الكلام البليغ والقدرة على الإقناع أكثر من خصمه، فيستطيع أن يستميل الحاكم إلى جهته ويقنعه بأحقية دعواه، فعن أم سلمة - رضي الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - قال:

«إنكم تختصمون إليَّ وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه بشيء، فإنما أقطع له قطعة من النار فإن شاء أن يأخذها أو يدعها»[٧٦]

ولكن من الواضح أن بين الحديثين فرقا، وذلك أن الحاكم الذي يجتهد أي يبذل وسعه في الاجتهاد، ولا يقصِّر في ذلك، ويكون عالماً بالاجتهاد جامعاً لآلته، يعد من أهله، فهو الذي يعذر بالخطأ، والذي يصدق عليه حديث أم سلمة - رضي الله عنها -، أما إذا قصَّر في بذل الجهد وتتبع الحق فيلحق به الوزر إذ أخلَّ بذلك.

أما الحديث الأول الذي أفاد أن المفتي يأثم بالاجتهاد سواء أصاب أم أخطأ فإنما هو الذي يقدم على الحكم والفتوى بغير علم، فهو يخبط خبط عشواء لا يدري إن كان قال صواباً من أين قاله، ولا إن قال خطأً لم قاله، فهذا يلحقه الإثم الكبير والذي يكون في حكمه ضالاً مضلا، والعياذ بالله تعالى، لأنه متكلف ما لا يعنيه، وهاجم على أمر لا دراية له به، ولا علم يمكنه من إدراك مراميه.

وأما العالم فهو يؤجر على قيامه بهذا العمل لأن اجتهاده في طلب الحق عبادة، وعليه كما-ذكرت- أن يبذل جهده لأن الاجتهاد عبارة عن استفراغ الوسع، وبذل المجهود في طلب العلم بأحكام الشرع بحيث يحس في نفسه بالعجز عن مزيد طلب، بل قال أهل الأصول: يجب على المجتهد أن يجدد النظر عند وقوع النازلة، و لا يعتمد على ما تقدم له

(٧٦) رواه البخاري في المظالم باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه (٢٤٥٨)٥/١٢٨/ وأطرافه (٢٦٨٠ و٦٩٦٧ و٧١٦٩ و٧١٨١ و٧١٨٥) ومسلم في الأقضية (١٧١٣)٣//١٣٣٧/ كما رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ومالك وأحمد وغيرهم.

لإمكان أن يظهر له خلاف رأيه الذي كان يراه، ولذلك يؤجر لو أخطأ لأنه بذل جهده، ولا يؤاخذ بإعطاء الحق لغير مستحقه لأنه لم يتعمد ذلك، بل وزر المحكوم به قاصر على المحكوم له إن كان يعلم أنه لاحق له فيه.

ولهذا جاء عن رسول الله -ﷺ- قوله:

القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة: قاض قضى بغير الحق وهو يعلم فهو في النار، وقاض قضى وهو لا يعلم فهو في النار، وقاض قضى بالحق فذلك في الجنة»[٧٧]

الهدف السادس: القول بالرأي:

جاء في الحديث «فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»

والإفتاء هو إصدار حكم من الإنسان على فعل من الأفعال بأنه صحيح شرعا، أو خاطئ، فإصدار الحكم لا بد أن يستند إلى علم ليربط الإنسان بين المقدمات والنتائج، ويقارن ما عنده من المعلومات مع ما هو ماثل أمامه من الواقعة التي تحتاج إلى حكم ليستنبط حكماً مناسباً لهذه الواقعة.

وأفاد الحديث أن الإنسان الذي لا يستند في حكمه إلى علم صحيح، لا يستطيع أن يصدر حكماً صحيحا، بل سيصدر عنه حكم بعيد عن الحق يؤدي بالتالي إلى إبعاد الناس -أيضا - عن الحق.

فهؤلاء الرؤساء الذين وُضِعُوا في مناصب الإفتاء بغير علم أفتوا الناس غير مستندين في فتاواهم إلى أصل ثابت عندهم من كتاب الله تعالى، أو سنة رسوله -ﷺ- أو قول عالم سبق له قول في هذه المسألة.

وقد نهى الله تعالى الإنسان أن يتبع الظن فقال سبحانه ﴿**ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إنَّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً**﴾ [الإسراء:٣٦]

---

(٧٧) حديث أخرجه أصحاب السنن عن بريدة بألفاظ مختلفة. وقال ابن حجر: «وقد جمعت طرقه في جزء» فتح الباري ١٣/٣٣١/ أبو داود في الأقضية (٣٥٧٣) ٤/٥/ والترمذي في الأحكام (١٣٢٢) ٣/٦١٣/ وابن ماجه في الأحكام (٢٣١٥) ٢/٧٧٦/ والنسائي في الكبرى في آداب القضاة.

ونص الآية ذم القول بغير علم، فهو خاص بمن تكلم برأي مجرد عن استناد إلى أصل.. كما ذم الله تعالى من اتخذ قراراً خاطئاً بعد التفكير فقال جل جلاله: ﴿**إنه فكر وقدر، فقتل كيف قدر**﴾ [المدثر ١٨، ١٩]

فلم يذمه الله تعالى حين فكر، وإنما ذمه حيث اتخذ قراراً مخالفاً فيه ما أوصله إليه تفكيره، فالتفكير المبني عن علم صحيح لا بد أن يُوصِلَ إلى قرار صحيح ورأي صحيح. وليس هذا مما جاء في الحديث فالحديث يذم من أفتى، وأعطى حكماً مع الجهل[٧٨]، ولذلك وصفهم بالضلال والإضلال.

ولهذا رأينا الله تعالى قد دلنا على الطريق الذي نعرف به حكم الله تعالى وذلك في قوله:

﴿**ولو رَدُّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**﴾.. [النساء:٨٣]

فالرأي إذا كان مستنداً إلى أصل من الكتاب أو السنة أو الإجماع فهو المحمود المطلوب، أما إذا كان لا يستند إلى شيء منها فهو المذموم المرغوب عنه.

ولذلك رأينا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يكتب إلى شريح فيقول: «انظر ما تبين لك من كتاب الله فلا تسأل عنه أحدا، فإن لم يتبين لك من كتاب الله فاتبع فيه سنة رسول الله - ﷺ - وما لم يتبين لك من السنة فاجتهد فيه رأيك»[٧٩]

وفي رواية ثانية زاد: «اقض بما في كتاب الله، فإن لم يكن فبما في سنة رسول الله -ﷺ- فإن لم يكن فبما قضى به الصالحون، فإن لم يكن فإن شئت فتقدم وإن شئت فتأخر، ولا أرى التأخر إلا خيراً لك»[٨٠]

---

(٧٨) الجهل - لغة - نقيض العلم وفي الاصطلاح: هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه وهو قسمان: بسيط وهو: عدم العلم ممن شأنه أن يكون عالمًا. والجهل المركب هو: عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع. قال العراقي: النسيان لا إثم فيه من حيث الجملة بخلاف الجهل فيما يتعين على الإنسان تعلمه والنسيان أيضا يهجم على العبد قهرا لا حيلة له في دفعه بالتعلم. والجهل لا يصلح عذرا، ومن ذلك من خالف في اجتهاده الكتاب والسنة المشهورة فإنه ليس يعذر أصلاً. /٢٠٠/ الموسوعة الفقهية. حرف الجيم.

(٧٩) قال ابن حجر: «هذه رواية سيار عن الشعبي» فتح الباري ١٣/٣٠١/

(٨٠) هذه رواية الشيباني عن الشعبي عن شريح. فتح الباري ١٣/٣٠١/

فهذا عمر -رضي الله عنه- أمر بالاجتهاد والاستنباط المبني على علم راسخ ومعرفة أصيلة.

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- نحو حديث عمر وقال في آخره: «فإن جاءه ما ليس في ذلك، فليجتهد رأيه، فإنَّ الحلالَ بيِّنٌ والحرامَ بيِّنٌ فدع ما يريبك إلى مالا يريبك»[٨١]

وبهذا ندرك أن ما جاء عن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- من ذم الرأي إنما هو الرأي الذي جاء عن هوى متبع، أو جهل بأصول القياس، وضلالة عن أسس اتخاذ الرأي أو معارضة لنص في كتاب الله تعالى أو سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن ذلك قول عمر -رضي الله عنه-: «اتقوا الرأي في دينكم»[٨٢]

وقوله: «إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا»[٨٣]

والذي يدل لذلك ما جاء عن سهل بن حنيف -رضي الله عنه- قال: «يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل (يقصد يوم الحديبية) ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لرددته، وما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر يفظعنا إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه غير هذا الأمر»[٨٤]

وكذا قول عمر -رضي الله عنه- ومراجعته للنبي -صلى الله عليه وسلم- في قضية الحديبية[٨٥]، وقال: «اتهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- برأيي، وما ألوت عن الحق» قال: «فرضي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبيت حتى قال لي: «يا عمر تراني رضيت وتأبى» قال: فرضيت»[٨٦]

---

(٨١) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح. فتح الباري ٣٠١/١٣/

(٨٢) أخرجه البيهقي في المدخل. فتح الباري ٣٠٢/١٣/

(٨٣) أخرجه البيهقي في المدخل. فتح الباري ٣٠٢/١٣/

(٨٤) رواه البخاري في الجزية والموادعة باب رقم (١٨) (٣١٨١ و٣١٨٢) ٣٢٤/٦/ وأطرافه (٤١٨٩ و٤٨٤٤ و٧٣٠٨)

(٨٥) رواه البخاري في الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (٢٧٣١ و٢٧٣٢ و٢٧٣٣) فتح الباري ٣٨٨/٥-٣٩٢/ وأحمد في المسند ٣٢٥/٤-٣٣٠/

(٨٦) قال ابن حجر: أخرجه البزار. فتح الباري ٤٠٨/٥/ انظر البحر الزخار (١٤٨)٢٥٣/١-٢٥٤/ وكشف الأستار (١٨١٣) ٣٣٨/٢/ والطبراني في المعجم الكبير (٨٢)٧٢/١/ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢٠٨) ١٢٥/١-١٢٦/ قال الهيثمي: رجاله موثقون، وإن كان فيهم مبارك بن فضالة وهو مدلس وقد عنعن» مجمع الزوائد١٧٩/١/ قلت: «ونسبه إلى أبي يعلى وليس في المطبوع».

فحادثة الحديبية، و موقف عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قد يفهم منه أنه ذم للرأي، لكنه في سياقه يدل على ذم الرأي إذا كان معارضاً للنص، فكأن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال اتهموا الرأي إذا خالف السنة كما وقع لنا حيث أمرنا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالتحلل، فأحببنا الاستمرار على الإحرام، وأردنا القتال لنكمل نسكنا ونقهر عدونا، وخفي عنا حينئذ ما ظهر للنبي-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مما حدث عقباه»

وقد قام الحافظ ابن عبد البر يرحمه الله في كتابه القيم «جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله» بجمع ما ورد من الآثار في ذم الرأي، ثم قال: «اختلف العلماء في الرأي المقصود إليه بالذم في هذه الآثار مرفوعها وموقوفها ومقطوعها، فقالت طائفة: هو القول في الاعتقاد بمخالفة السنن لأنهم استعملوا آراءهم وأقيستهم في رد الأحاديث حتى طعنوا في المشهور منها الذي بلغ حد التواتر كأحاديث الشفاعة، وأنكروا أن يخرج أحد من النار بعد أن يدخلها، وأنكروا الحوض والميزان وعذاب القبر.. إلى غير ذلك من كلامهم في الصفات والعلم والنظر. وقال أكثر أهل العلم: الرأي المذموم الذي لا يجوز النظر فيه، ولا الاشتغال به هو ما كان في نحو ذلك من ضروب البدع»

قال ابن قيم الجوزية: ومعلوم أن الحلال ما في كتاب الله وسنة رسوله تحليله، والحرام ما في كتاب الله وسنة رسوله تحريمه، فمن جهل ذلك، وقال- فيما سئل عنه بغير علم وقاس برأيه ما خرج منه عن السنة فهذا الذي قاس الأمور برأيه فَضَلَّ وأضَلَّ، ومن رد الفروع إلى أصولها فلم يقل برأيه.[٨٧]

ويقول الشيخ السنهوري: «إن القول في دين الله، وفي شرائع الأحكام بمجرد استحسان العقل، وما يقدِّره العقل من المصلحة من غير استناد إلى دليل لا يكون اجتهاداً فقهيا، وما هو إلا قول بالهوى والتشهي، وما كان اجتهاد السلف الصالح إلا فيما بين أيديهم من نصوص القرآن والسنة»[٨٨]

ولذلك يكون الاجتهاد حراماً إذا كان في مقابلة نص قطعي أو إجماع ثابت بطريق متواتر، كما يكون حراماً إذا كان صادراً ممن هم ليسوا من أهل الاجتهاد، أو كان

(٨٧) إعلام الموقعين ١/٤٣/

(٨٨) نقله في الاجتهاد في التشريع /٣٢/

عملهم نتيجة الهوى والتشهي، وإن كان في الواقع لا يسمى ما فعله مثل هؤلاء اجتهادا»[٨٩]

وبهذا نعلم أن الرأي الذي يتخذه الإنسان في أي مسألة من المسائل يجب أن يستند فيه إلى نصوص الشريعة إن كان موضوعها قد تطرقت إليه الشريعة، وإن كانت المسألة من الأمور المحدثة التي لم تكن فيما سبق من الأزمنة، وليس فيها شَبَهٌ بما سبق من المسائل، فعلى المجتهد أن يستلهم من روح الشريعة والقواعد العامة التي تعطي العالم التصور الصحيح عن الأمور المحدثة فيعطيها الحكم الذي يراه أكثر اتساقاً مع النظام العام للإسلام والله أعلم وأحكم.

(٨٩) انظر السابق /٣٥/ بتصرف

خاتمة البحث:

هذا البحث يبين لنا أموراً متعددة، منها:

- الاهتمام الشديد بطلب العلم، والبحث عن أهله للاستفادة منهم، والاهتداء بهديهم، وصحيح أن العلم موجود في الكتب، ولكن تبقى الروح العلمية أكثر تأثيراً في النفس الإنسانية، وأكثر نقلاً لروح العلم، وفقه النص، وأعظم تأثيراً من الاطلاع على الأصول والقواعد العامة للعلم من الكتاب الجامد، فعلى المسلم أن يحرص على أخذ العلم من بقايا أهل العلم الموجودين في هذه الدنيا، حتى يكون ممن استنار قلبه، واستنار عقله، وعرف الأسس التي ينظر بها إلى ما يحدث في هذه الدنيا ليعرف حكم الله تعالى فيه.
- ومن الأمور الهامة التي يشير إليها هذا الحديث أن علينا نحن أمة محمد -ﷺ- أن نجعل العلم هو قائدنا، وهو إمامنا لنقود العالم بالمعرفة والبحث المتواصل، وأن لا نُقدِّمَ للقيادة الجُهَّالَ، فإن الجاهل يورد نفسه ومتبعيه المهالك ويبعدهم عن الحق والصواب.. وهذا الحديث وإن كان ظاهره يتناول العلوم الشرعية، إلا أنه في معناه العام يشمل كل العلوم لأن كل جيل من الأجيال يحتاج إلى الجيل الذي سبقه وبخاصة أهل العلم ليأخذ عنهم علومهم ويطوّرها، ويرقيها، ويفيد المجتمع في علمه.

فالله أرجو أن يجنب أمتنا قيادة الجهال، وأن يجعل العلم محور الحياة، والفلك الذي نسير فيه لنصل إلى بر السلامة والسلام ولنتقدم في جميع الأمور، وشؤون الحياة على وجه صحيح، وطريق مستقيم.

كما أرجو أن يكون هذا البحث قد نجح في إبراز هذين الأمرين واستطاع أن يبعث في نفس القارئ الرغبة في العلم ومتطلباته، والدافع للاستفادة من أهل العلم والتتلمذ عليهم.

والله الموفق إلى ما يحبه ويرضاه.

تم إتمام هذا العمل في التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢١هـ نسأل الله الإخلاص والقبول.

المراجع:

م	الكتاب وبياناته
١.	الإبهاج في شرح المنهاج: لشيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي (٧٥٦هـ) وابنه عبد الوهاب (٧٧١هـ) والمنهاج للقاضي البيضاوي (٦٨٥هـ) ط:دار الكتب العامة، بيروت، ١٤٠٤هـ//١٩٨٤
٢.	الاجتهاد في التشريع الإسلامي: د. محمد سلام مدكور، ط١، (١٤٠٤هـ) دار النهضة العربي القاهرة
٣.	الاجتهاد في الشريعة الإسلامية: يوسف القرضاوي، دار القلم، الكويت، ١٤١٠هـ //١٩٨٩م.
٤.	الاجتهاد ومقتضيات العصر: محمد هشام الأيوبي، دار الفكر، عمان الأردن.
٥.	الإحكام في أصول الأحكام: للآمدي سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد، ضبطه الشيخ إبراهيم العجوز دار الكتب العلمية، بيروت.
٦.	الإحكام في أصول الأحكام:أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٤٥٦هـ) دار الكتب العلمية بيروت
٧.	أحكام القرآن لابن عربي المالكي تحقيق علي محمد البجاوي ط٢ القاهرة ١٩٦٨م .
٨.	أدب المفتي والمستفتى لأبي عمرة عثمان بن عبد الرحمن (ابن الصلاح) الشهرزوري (٦٤٣هـ) تحقيق:د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، وعالم الكتب. ١٤٠٧هـ //١٩٨٦م.
٩.	إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق: للإمام النووي يحيى بن شرف (٦٧٦هـ) تحقيق نور الدين عتر، دار البشائر الإسلامية بيروت، ١٤١١هـ//١٩٩١م.
١٠.	إرشاد الساري شرح صحيح البخاري: لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (٩٢٣هـ) نشر دار الفكر – بيروت.
١١.	إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول:محمد بن علي بن محمد الشوكاني(١٢٥٥هـ)، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، نشر دار السلام للطباعة، مصر ط. أولى (١٤١٨هـ).
١٢.	الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر (٤٦٣هـ) تحقيق طه الشويني، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ط أولى، القاهرة
١٣.	أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري (٦٣١هـ)
١٤.	الأشباه والنظائر للسيوطي
١٥.	الإصابة لتمييز الصحابة لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢هـ) تحقيق طه الزيني، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ط. أولى القاهرة
١٦.	إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) عناية صدقي محمد جميل العطار. دار الفكر.
١٧.	الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع: للقاضي عياض بن موسى اليحصبي. تحقيق السيد صقر، نشر دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس.

م	الكتاب وبياناته
١٨.	الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث بشرح أحمد محمد شاكر ط دار العاصمة الرياض- ط:الأولى ١٤١٥هـ
١٩.	البحر الزخار في مسند البزار: تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ومكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة١٤٠٩ هـ
٢٠.	بهجة النفوس وتحليتها بمعرفة ما لها وما عليها (شرح مختصر صحيح البخاري)للعلامة عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي (٦٩٥هـ) تحقيق د. بكري شيخ أمين، ط: دار العلم للملايين بيروت، ط١/١٩٩٧م.
٢١	تاريخ دمشق لابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن (٥٧١هـ) مطبوعات المجمع العلمي بدمشق.
٢٢.	تاريخ دمشق: لأبي زرعة الدمشقي، تحقيق بهجة الله نعمة الله قوجاني- مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق.
٢٣.	التاريخ الكبير: للبخاري محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ) ط: دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد، الهند
٢٤.	تحفة الأحوذي شرح الترمذي: للمباركفوريط: الهند.
٢٥.	تدريب الراوي شرح تقريب النووي للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ) تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر دار إحياء السنة النبوية ط. ٢ (١٣٩٩هـ)
٢٦.	تذكرة الحفاظ للذهبي (٧٤٨هـ) تحقيق عبد الرحمن المعلمي، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت
٢٧.	تذكرة السامع والمتكلم في آداب العلم والمتعلم، : لابن جماعة إبراهيم بن سعد الله(٧٣٣هـ)نشر دار الكتب العلمية
٢٨.	تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، حلب
٢٩.	تقييد العلم: للخطيب البغدادي (٤٦٣) ط: دمشق.
٣٠.	تهذيب الكمال: للمزي (٧٤٢هـ) تحقيق د. بشار عواد نشر مؤسسة الرسالة، بيروت ط أولى (١٤٠٠هـ)
٣١.	تهذيب التهذيب: لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢هـ) ط: مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند (١٣٢٥هـ)
٣٢.	توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار: لمحمد بن إسماعيل، المعروف بالأمير الصنعاني (١١٨٢هـ)دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ.
٣٣.	جامع بيان العلم وفضلة وما ينبغي في روايته وحمله: ابن عبد البر:يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (٤٦٣هـ)نشر دار الفكر، بيروت
٣٤.	حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني مطبعة السعادة (١٣٥١هـ) مصر.
٣٥.	دليل الفالحين شرح رياض الصالحين، ابن علان الصديقي، القاهرة.
٣٦.	الرسالة: للإمام الشافعي محمد بن إدريس، تحقيق أحمد شاكر، ط:مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٨هـ، القاهرة.

م	الكتاب وبياناته
٣٧.	ركن التجرد: د. علي عبد الحليم محمود، دار التوزيع والنشر الإسلامي، القاهرة(١٤١٩هـ// ١٩٩٨م)
٣٨.	السنن لابن ماجه محمد بن يزيد (٢٧٣هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط عيسى البابي الحلبي، مصر
٣٩.	السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث(٢٧٥هـ)تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد إحياء التراث العربي.
٤٠.	السنن للترمذي محمد بن عيسى بن سورة (٢٧٩هـ) تحقيق أحمد شاكر وفؤاد عبد الباقي نشر دار الفكر، بيروت.
٤١.	السنن للدارمي أبي محمد بن عبد الرحمن (٢٥٥هـ)، (انظر فتح المنان).
٤٢.	السنن للنسائي: أحمد بن شعيب (٣٠٣هـ)نشر دار الفكر بيروت.
٤٣.	السنن الكبرى للنسائي: أحمد بن شعيب (٣٠٣هـ) نشر دار الكتب العلمية بيروت – ط أولى (١٤١١هـ).
٤٤.	سير أعلام النبلاء: للذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط ط٩، ١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة.
٤٥.	شرح السنة للبغوي: الحسين بن مسعود (٥١٦هـ) تحقيق الأرناؤوط، ط. المكتب الإسلامي، بيروت
٤٦.	شرح الكرماني على البخاري نشر دار الفكر بيروت ١٤١١هـ
٤٧.	شعب الإيمان: للبيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ) تحقيق د.عبد العلي عبد الحسن حامد، نشر الدار السلفية، بومباي، ١٤٠٦هـ الهند.
٤٨.	صحيح ابن حبان (٣٧٥هـ)]الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان الفارسي (٤٣٩هـ) ط١، دار الفكر ١٤٠٦هـ، بيروت
٤٩.	صحيح ابن خزيمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (٣١١هـ) تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي.
٥٠.	صحيح البخاري:محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري (٢٥٦ هـ) انظر فتح الباري.
٥١.	صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) عناية محمد فؤاد عبد الباقي، مصر
٥٢.	الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (٢٣٠هـ) دار التراث العربي، بيروت.
٥٣.	عارضة الأحوذي في شرح الترمذي للحافظ ابن العربي المالكي (٥٤٣هـ) نشر دار الفكر. بيروت ١٤١٥ هـ.
٥٤.	عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين محمود بن أحمد العيني (٨٥٥هـ) نشر دار إحياء التراث العربي– بيروت.
٥٥.	الفائق في غريب الحديث لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، نشر دار الفكر بيروت، تحقيق: محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ١٤١٤هـ.

م	الكتاب وبياناته
٥٦.	فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢هـ) الرياض ط. الأولى
٥٧.	فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي(٩٠٢هـ)تحقيق:علي حسين، الجامعة السلفية، الهند ط. ١(١٤٠٩هـ)
٥٨.	فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي ابي محمد عبد الله بن عبد الرحمن، تحقيق: أبي عاصم نبيل بن هاشم العمري، دار البشائر الإسلامية، المكتبة المكية، ١٤١٩هـ /١٩٩٩م
٥٩.	الفروع: لابن مفلح أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي (٧٦٣هـ) عالم الكتب ط ١٤٠٢هـ، بيروت
٦٠.	الفصول في الأصول: للإمام أحمد بن علي الرازي الجصاص، (٣٧٠هـ) تحقيق:د.عجيل النشمي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، وزارة الأوقاف، الكويت.
٦١.	فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي محمد عبد الرؤوف (١٣٣١هـ)، دار المعرفة، بيروت ١٣٩١ هـ
٦٢.	قواعد الأحكام في مصالح الأنام: لأبي محمد عز الدين بن عبد السلام السلمي (٦٦٠هـ) مؤسسة الريان ١٤٢٠هـ/١٩٩٠م بيروت.
٦٣.	كتاب العلم:لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق فاروق حمادة، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤٠١هـ/١٩٨١م
٦٤.	كشف الأستار بزوائد البزار: للهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ) تحقيق عبد الرحمن الأعظمي.
٦٥.	مباحث في أصول الفقه الإسلامي: د. عبد المجيد السوسوة ط١، دار الجامعات اليمنية، (١٤٢٠هـ)
٦٦.	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ) نشر دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٢هـ)
٦٧.	محاسن الاصطلاح:لسراج الدين البلقيني عمر ين نصر (٨٠٥) هـ، ت- د. عائشة عبد الرحمن، ط دار المعارف، مصر ١٤١١هـ
٦٨.	المحدث الفاصل بين الراوي والواعي لحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (٣٦٠هـ) تحقيق أ. د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر بيروت (١٤٠٤هـ)
٦٩.	المحصول في علم الأصول: لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (٦٠٦هـ) تحقيق د.طه جابر فياض العلواني ط:جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٧٠.	مختصر مسند البزار: لابن حجر علي بن أحمد العسقلاني (٨٥٢هـ) تحقيق صبري عبد الخالق، مؤسسة الكتب الثقافية ١٤١٢هـ
٧١.	مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري ، ط مصر.
٧٢.	المستدرك على الصحيحين للحاكم أبي عبد الله النيسابوري (٤٠٥هـ) نشر دار المعرفة، بيروت
٧٣.	المستصفى من علم الأصول: للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ) نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

م	الكتاب وبياناته
٧٤.	المسند لأبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي التميمي (٣٠٧هـ) حققه حسين سليم أسد ط. دار المأمون، دمشق.
٧٥.	المسند: أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ط المكتب الإسلامي، بيروت.
٧٦.	مسند الحميدي عبد الله بن الزبير (٢١٩هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، تصوير عالم الكتب.
٧٧.	مسند الشهاب للقضاعي محمد بن سلامة (٤٥٤) هـ، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٧٨.	مسند الطيالسي أبو داود سليمان بن الجارود الفارسي البصري (٢٠٤هـ) ط١، الهند حيدرأباد ١٣٢١هـ تصوير دار المعرفة بيروت
٧٩.	مصنف ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد (٢٣٥هـ) ط ٢ / الدار السلفية، بومباي الهند ١٣٩٩هـ
٨٠.	مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ) تحقيق عبد الرحمن الأعظمي، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت.
٨١.	المعجم الكبير للطبراني سليمان بن أحمد (٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ط. ٢/
٨٢.	مفردات غريب القرآن الكريم للراغب الأصفهاني حسين بن محمد(٥٠٢)هـ، تحقيق: محمد السيد الكيلاني- نشر دار المعرفة، بيروت.
٨٣.	مقدمة ابن الصلاح، لأبي عمرو عثمان الشهرزوري (٦٤٢هـ) نشر دار الفكر بيروت (١٤٠٨هـ)
٨٤.	المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:للنووي أبي زكريا يحي بن شرف (٦٧٦هـ) نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٢هـ
٨٥.	الموسوعة الفقهية
٨٦.	نزهة النظر شرح نخبة الفكر، في مصطلح أهل الأثر لابن حجر، نشر مؤسسة ومكتبة الخافقين، دمشق (١٤٠٠هـ)
٨٧.	نفائس الأصول في شرح المحصول: لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس عبد الرحمن الصَّنْهاجي المصري (القرافي)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م
٨٨.	نهاية السول في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول: للقاضي ناصر الدين البيضاوي (٦٨٥هـ) تأليف جمال الدين عبد الرحيم بن الحين الأسنوي (٧٧٢هـ) حققه د. شعبان محمد إسماعيل، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٠هـ
٨٩.	النهاية في غريب الحديث لابن الأثير محب الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (٦٠٦هـ) نشر دار الفكر، بيروت (١٤١٨هـ)

Abstract

This article has gathered all related information to the explanation of the text of this Hadith, and the precepts, which could be derived from it, and its ways of narration.

This study has detected all the ways, which this hadith was transformed through (i.e. Asanid: chain of narrators).
It also explained the advantages of these Asanid, which were mentioned by the leaders of Hadith.

Finally, the hadith which are similar in meaning to this hadith but narrated on the authority of other Companions (i.e. Shaw, ahid) were also cited in order to assert that Ibn Amr`s narration from the Prophet is a trustworthy one.

Praise is to Allah in the beginning and in the end.

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

ACADEMIC REFEREED JOURNAL OF
ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE

EDITOR IN-CHIEF
Prof. Muhammed KH. Al Danna

EDITING SECRETARY
Dr. Mustafa Adnan Al-Ethawi

EDITORIAL BOARD
Prof. Ridwan M. Bin Gharbih
Dr. M. Elhafiz Al-Nager
Dr. Umar Bu Qarura

ISSUE NO. 27
Rabial II, 1425H - June 2004G

ISSN 1607- 209X

This Journal is listed in the **"Ulrich's International Periodicals Directory"**
under record No. **157016**

e-mail: iascm@emirates.net.ae

ISSN 1607-209X

UNITED ARAB EMIRATES- DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

Academic Refereed Journal of

ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE

ISSUE NO. 27
Rabial II, 1425H - June 2004G

e-mail: iascm@emirates.net.ae